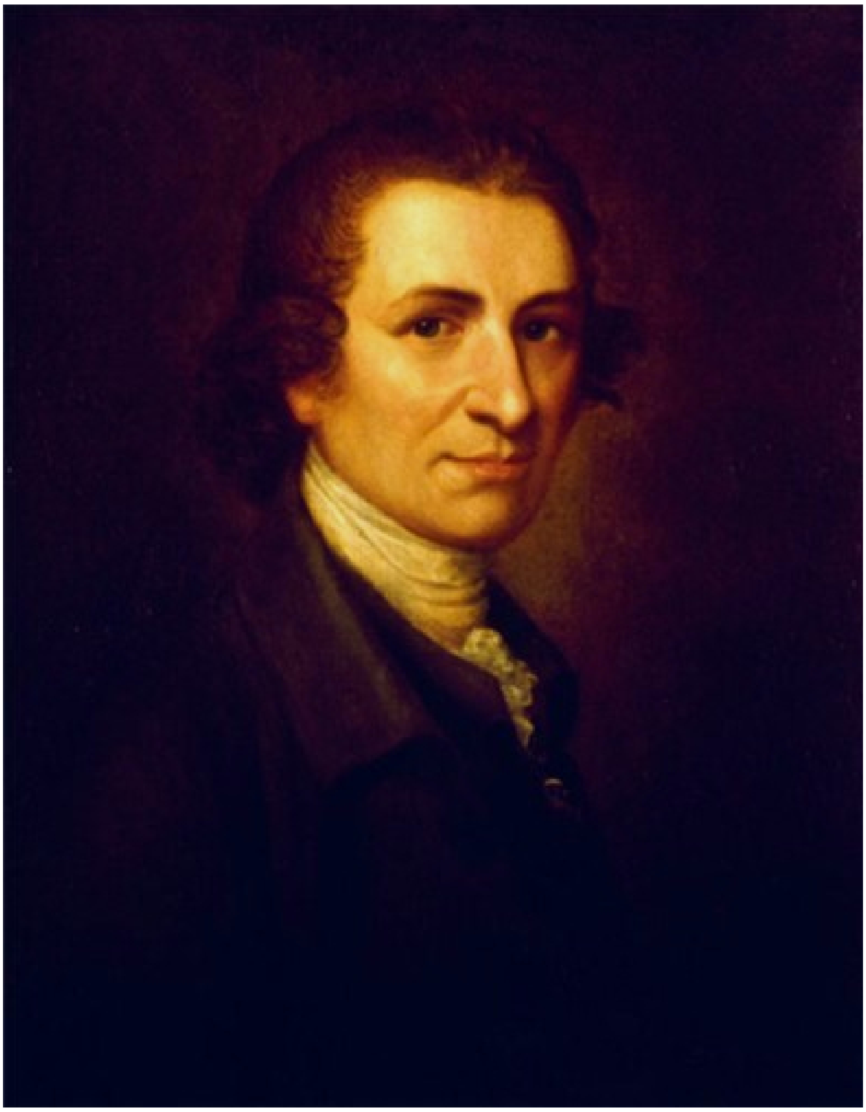
عَصرُ العَقلْ

تحقيقٌ في اللاهوتِ الحقيقيِ و الاسطوريِ

الجُزءُ الأول



توماس باين

١٧٩٤

ترجمة: محمد موسى

تمت الترجمة بواسطة:

محمد موسى

McMoses@yandex.com

عن الكتاب

عَصرُ العقل: (بالإنكليزية: The Age of Reason) كتابٌ ألفهُ توماس باين في القرنِ الثامنِ عشر إنتَقَدَ فيـهِ ألـدينَ المُهيكـلَ وتَحـدى عِصـمةَ الكتـابِ المقـدسِ. طُبِـعَ فـي ثلاثـةِ أجزاء في ١٧٩٤ و ١٧٩٥ و ١٨٠٧ وأصبحَ في قائمةِ أفضلِ المبيعاتِ في أمريكا حيثُ سَّـبَبَ إحياءً لمذهبِ الربوبية.

يُقدمُ الكتابُ أدلة الربوبيةَ مثل انحرافِ الكنيسـةِ المسـيحيةِ وانتقـادَ محاولاتِهـا للحصـولِ على السلطةِ السياسية. يؤيدُ الكتابُ العقلَ والمنطقَ عوضاً عَن الوحي ويرفُضُ المعجـزاتِ ويعتبر الكتُبَ المٌقدسةَ قِطعاً أدبيةً وليست وحياً إلهياً. لا يَرفُضُ فِكرَةَ الربِ بل هو ربـوبيٌ يدعمُ الدينَ الطبيعي ويؤمن بخالق.

كانت مُعظمُ الأدلة التي إستخدَمَها الكاتبُ معروفةً للنُخبـةِ المثقفـةِ، لكنـهُ قّـدَمَها بأسـلوبٍ شيقٍ زاد مِن جاذبيتِهـا وشـعبيتِها لجمهـورٍ عريـضٍ. و قـد ألهَمَـت أفكـارا الكتـاب مٌفكريـنَ آخرين.

الفهرس

كلمةُ المؤلف

إلى زمُلائي مِن مواطني الولاياتِ المتحدةِ الأمريكية:

أضَعُ العَمَلَ التاليَ تَحتَ حِمايتكم. أنهُ يَحتوي على آرائي عن الدين. ستُنصفونَني بتذكُركم بأنني قد أيَدتُ بقوةً حّقَ كُّلَ إنسانٍ إمتلاكَهُ رأيَهُ الخاص، مهما كان مُختَلِفاً عَن رأيي .

مَن يتَنَكرْ هذا الحقُ للأخرِ ، يَجعَلُ مِنْ نَفسِهِ عبداً لرأيِهِ الحالي لأنهُ يَحولُ دونَ حَّقِهِ في تغييرهِ.

إن أكثرَ الأسلحةَ فاعليةً ضِّدَ كُلَ نوعٍ من الأخطاء هو العقل. لم أقُمْ بأستخدام أي أداةٍ أُخرى وأنا واثقٌ بأنني لن أقومَ بذلكَ أبداً.

صديقٌ حنونٌ وزميلُ مواطن
توماس باين
لوكسمبورغ، الثامن من بلوفويز،
العام الثاني لقيام الجمهورية الفرنسية.
٢٧ كانون الثاني ١٧٩٤.

الفصل الاول: الممارسة الايمانية للمؤلف

لقد كان في نيتي، منذُ سنواتٍ مضتْ، نشرَ أفكاري عَنْ الدينِ. مدركاً جيداً حجمَ الصعوبات المتعلقةِ بالامر، من هذا المنطلق، احتَفَظتْ بِها لفترةٍ لاحقـةٍ. قصـدتْ بهـا أن تكـونَ الهديـةَ الأخيرةَ التي أُقدِمُها لزملائيَ من مواطني جميعِ الأممِ، في الوقتِ الذي لا تكونُ فيه نيـتـي محطَ شكوكٍ، حتى من قبلَ الرافضين للعمل الذي أقدمُهُ.

إن ما حدثَ الآن في فرنسا مِن الغاءٍ للنظامِ الكهنوتي أجمعـه بكـلِ مـا يتعَلـقُ بـه مـن نظـمٍ دينيةٍ وبنودٍ عقائديةٍ قهريةٍ، لم يزَدْ مـن دافعـي فحسـب، بـل جَعَـلَ أيضـاً هـذا النـوعَ مِـن العمل ضرورياً للغايةِ، ففي الحطامِ العـامِ للخرافـاتِ، والنظـمِ الحاكمـةِ الكاذبـةِ، واللاهـوتِ المزيفِ، تُنسى البصيرةَ، والأخلاقَ، والإنسانيةَ، واللاهوتَ الحقَ.

وكما قَدَمَ لي العديدُ من زملائي وغيرِهمْ من مواطني فرنسا مثالاً لبنـاءِ نظـامِهمْ العقائِـدي الطـوعِي و الشخصِـي، سَـأقومُ انـا ايضـاً ببنـاءِ نظـامي. وأنـا أفعـلُ ذلـكَ بِكـلِ الإخلاصِ والصراحةِ التانِ يتصلُ بِهما عقلُ الإنسانِ مَعَ نفسهِ.

أؤمن بربٍ واحدٍ فقطْ، لا أكثر؛ وآملُ في سعادةٍ بعدَ هذهِ الحياةِ.

اؤمنُ بألمساواةِ بينَ البشرِ. وأؤمنُ بأنَ الواجبات الدينية تتمثلُ في تَحقيقِ العدالةِ والمحبةِ و الرحمةِ، والسعيِ لسعادةِ المخلوقاتِ الأُخرى.

الى جانب ذلك أؤمنُ بأمورٍ أخرى كثيرةٍ، لذلكَ سأقدمُ في هذا الكتابِ، الامور التي لا اؤمنُ بها، وأسبابَ عدمَ ايماني بها.

أنا لا اؤمنُ بالعقيدةِ المعلنةِ من قبلِ الكنيسـةِ اليهوديـة، الرومانيـة، اليونانيـة، التركيـة، أو الكنيسةِ البروتستانتية، ولا أي كنيسةٍ اخرى أعرِفُها، عقلي هو كنيستي.

جميع المؤسسات والكنائس، سواءً كانت يهوديةً، ام مسيحيةً أم تركيـةً، لا تبـدو لـي سـوى اختراعاتٍ بشريةٍ، أُنشأتْ لتخويفِ واستعبادِ الانسانِ، واحتكارِ السُلطةِ و الارباحِ.

ولا أقصدُ بهذا الإعلانِ إدانةَ من يؤمنون خلافً لذلكً؛ فلهم نفسُ الحق فـي اعتقـادهم كمـا هو لي. ولكنَ من الضروري لسعادةِ الإنسانِ أنْ يكونَ مخلِصاً عقلياً لنفسِهِ، فـالكفرُ لا يتَعَلَـقُ بالإيمانِ مِن عدمهِ. بل انه اعتناقُ الشخصِ لعقيدةٍ لا يؤمِنُ بها.

إن من المستحيلِ حسابُ الأذى الأخلاقي -ان كان لـيَ التعـبيرُ عنـهُ بهـذهِ الطريقـة- عنـدما يُنتَجُ الكذِبُ العقليُ و يَنتَشرُ في المجتمع. فعنـدما يُفسُـدُ الإنسـانُ و يَغِـشُ عَقلُـهُ، ويُـذعِنُهُ للأعتقادِ بأشياءٍ لا يؤمنُ بهـا، فـأنهُ يُعُـدُ نَفسَـهُ لإرتكـابِ أي جريمـةٍ أُخـرى. ويَأخُـذُ بتِجـارةِ الكَهَنوتِ لكسبِ المالِ، ومن أجل تأهيلِ نَفسِهِ لهذهِ التجارةِ يبدأُ بشهادةِ الـزورِ. هـل يُمْكننـا تَصورُ أيَ شيءٍ أكثرُ تَدميراً للأخلاقِ مِنْ هذا؟

بعد فترةٍ وجيزةٍ من نشرِ كُتَيِب "الحِسُ السَليمِ"، في أمريكا، رأيتُ احتمالاً كبيراً بأن ثـورةً في نظام الحكمِ ستتبعُها ثورةٌ في نظام الدين. إن الارتباطَ الخادعَ بيـنَ الكنيسـةِ والدولـةِ، أينما حَلَ سواء كانَ يهودياً أم مسيحياً أم تركياً، يمنعُ كُلَ نقاشٍ عـن المـذاهبِ الراسـخةِ، و عن مبادئ الدين الأولى، لذلك لا يُمكنُ أن يتمَ عرضُ هذهِ الأُمور على نحـوٍ عـادلٍ وصـريحٍ أمام العالمِ إلا بتغييرِ نظامِ الحُكمِ.

ولّكن حينما يَتمُ القيامَ بذلكَ، سَيُتبَعُ بثورةٍ في نظامِ الدينِ. ويَتُمَ الكشفُ عـن الاختراعـاتِ البشريةِ وخداعِ الكهنوتِ. ويَعودُ الانسانُ لإيمانٍ نقـيٍ، غيـر مخلـوطٍ أو مزيـفٍ، أي الايمـانُ بألهٍ واحدٍ، لا أكثرْ.

الفصل الثاني: المهمات و الوحي

كُلَ كنيسةٍ أو دينٍ قد وضعَ لِنَفسِهِ اساساً بإدعاءِ حملِ مُهمةً خاصةٍ من رَبٍ يتواصلُ مَعَ بعض الأفرادِ. اليهودُ لديهمْ موسى. المسيحيون لَديهمْ يَسوع ورُسُلِهمْ والقديسينَ؛ والأتراكُ لَدَيْهِمْ مُحَمّدْ، كما لو إنَ الطريقَ إلى الرَبَ لَم يَكن مفتوحاً لكل أنسانٍ على حدٍ سَواءْ.

كُلٌ من هذهِ الكنائسِ تُظهِرُ بعضَ الكتُبِ، التي يُسَمونَها الوحيَ، أو كلمَةَ الرَب، فيقولُ اليهودُ أنَ كَلمَةَ الرَبِ قد أُعطَيتْ لموسى وَجهاً لوجه. ويقولُ المسيحيونَ كذلك جاءَتْ كلمةُ الرَب من الوحيِ الإلهي: ويقولُ الأتراكُ، أنَ كلمةَ الرَب (القرآن) قد جُلِبَتْ مِنْ قِبَلِ ملاكٍ مِنَ السماء. كُلٌ مِن تلكَ الكنائِسِ تَتَهِمُ الآخرى بالكفرِ، و انا بدوري أكُفرُ بِهِمْ جميعاً.

أنهُ لمِنَ الضروري إلصاقُ الأفكارِ و المعانيَ إلى مُفرَداتِها الصحيحةِ، لذَلكَ سأقومُ بِذكرِ بعضِ الملاحظاتِ حَولَ كَلمة الوحي قبل المُضيِ قُدماً في الموضوع، فالوَحيُ، عِندَما يُذكرُ في سياقِ الدينِ، فأنهُ يَعني نقلَ شيءْ فوراً من الرَبِ إلى الإنسانِ. لا أحدَ يُنكرُ أو يُعارضُ سُلطَةَ القديرِ أن يَصنعَ مثل هكذا رسالة، إذا كانَ يرغب.

ولكنَ الاعترافَ، جدلاً، أن شيئاً قد كُشِفَ لشخصٍ معينٍ، دونَ أي شخصٍ آخر، هو وحي لهذا الشخص فقَطْ. فحين يقومُ بنَقلِهِ لشخصٍ ثانٍ، و من ثانٍ لثالثٍ وثالثٍ لرابعٍ، وما إلى ذلك، فإنهُ لَم يَعدْ وحياً لجميعِ هؤلاء الأشخاص. إنَهُ وحيٌ لأولِ شخصٍ فقط، وإشاعةٍ الى الاخرينَ، وبالتالي هم ليسوا مُلزَمينَ بِتصديقِها.

إنهُ لتَناقضٌ في المُصطلحاتِ والأفكارِ، تسميةُ أي شيءٍ يأتي إلينا من جهةٍ أخرى وحياً، إما لفظياً أو كتابةً. الوحي يَقتَصرُ بالضرورةِ على التواصل الاول، بعد ذلك، هو مجردُ تسليمٍ بأنَ ما يقوله هذا الشَخصُ هو وحيٌ مُنزَلٌ، وعلى الرغم من انهُ قَد يَجِدُ نَفَسَهُ مضطراً

للأيمان به، فإنه لا يُمكنُ أن أكونَ مُلزماً بالأيمانِ بها بنفسِ الطريقةِ؛ لأنه لم يكن وحيا مُنزلاً الي، وليس لديَ سِوى كَلِمتَهُ بأن وَحياً قد أُنزِلَ اليهِ.

عندما قالَ موسى لبني إسرائيلَ أنه قَد تَلَقى لوحي الوصايا من يدي الرب، لم يكونوا مُلزمينَ بتصديقِهِ لأنه لم يَكن لديهم أي سلطة أخرى لذلكَ سوى قَولِهِ لَهم؛ وليس لدي أيَ سُلطةٍ أخرى سوى كَلِمَةَ مؤرخٍ ما يُخبِرُني بِذلكَ.

ولا تحملُ الوصايا في داخِلِها دليلاً على الألوهية ؛ بل تحتوي على بعضِ الأخلاقياتِ الجيدةِ* التي ممكنُ أن يَتِمَ وضعُها من قِبل أي رجلٍ مؤهلٍ ليكونَ مُحامياً، أو مشرعاً، دونَ اللجوءِ إلى تَدَخُلٍ خارقٍ للطبيعةِ.

*ومع ذلك، فمن الضروريِ أن يُستَثنى مَن ذلكَ الإعلانُ الذي يقولُ أن الرَبَ يُحملُ خطايا الآباء على الأطفالِ. إن هذا مُخالفٌ لكلِ مبدإٍ من مباديءِ العدالةِ الأخلاقيةِ.

عِندَما قيل لي أن القُرآنَ قَد كُتِبَ في السماءِ وجُلِبَ إلى مُحمدٍ مِن قِبلِ ملاكٍ، فالادعاءُ يندَرِجُ أيضاً تحت نفس النوع من الإشاعة كَسابِقِهِ والأدلة الغيرِ مباشرةٍ أيضاً والسلطةِ المستخدمةِ كالسلطةِ السابقةِ. فلم أرَ الملاكَ بنَفسي، وبالتالي، لدَيَ الحقُ في عَدمِ الإيمانِ به.

عِندما قِيلَ لي أيضاً إنَ هُناكَ امرأةً تُدعى مَريم العذراء، وانها قد أُعطيَتْ طِفلاً دونَ معاشرةِ رَجُلٍ و أن خَطيبها، يوسف، قد قالَ أن ملاكاً قد أَخبرَهُ بِذلكَ، فلدي الحقُ في التصديقِ من عدمِهِ؛ فمثلُ هكذا ظرفٍ يَتَطلبُ أَدلةً أقوى بكثيرٍ من مجردِ كلامِهِمْ؛ لكننا لا نَملكُ ذلكَ حتى، لأنه لم يَقُم يُوسفَ ولا مريمَ بكتابةِ أي شيءٍ من هذا القبيلِ، بل أنها ذُكرتْ مِن قبلِ الآخرين فانها اذاً إشاعةٌ مَبنيةٌ على إشاعةٍ لذَلكَ أختارُ أن لا أجعَلَ هكذا ادلةً اساساً لإيماني.

ومعَ ذلكَ، فإنهُ ليسَ مِن الصعبِ حسابُ مصداقيةِ قصةِ يسوع المسيح بكونهِ ابن الرَبَ، لقد كان ولداً عندما كانتْ الأساطيرُ الوثنيةِ لا تزالُ تَحتَفِظُ بريادتها وسُمعتِها في العالم، وأن الأساطيرَ أعَدت الناسَ للإيمان بهكذا قصة، تقريبا جميعُ الرجالِ ذوي سمعةٍ طيبةٍ الذينَ عاشوا في عصرِ الأساطيرِ الوثنية عادة ما يُعتَقَدُ كونهمْ ابناءَ لبعضِ الآلهة.

لم يَكنْ مِنَ الجَديدِ في ذلك الوقتِ، الاعتقادُ بأنَ رجلاً ما قد أُنجِبَ مِن السماءِ؛ لقد كان جماعُ الآلهةِ مع النساءِ حينذاك مسألةَ رأيٍ مألوفٍ. الاله المشتري، وفقاً لِحساباتِهم، قد عاشَرَ المئات لذلك لا شيءَ جديدٍ في القصةِ سواءَ كانَ، رائعاً، أم فاحشاً. فَقَدْ كانتْ مطابقَةً للآراءِ التي سادتْ آنذاك بينَ الناسِ الذينَ يُطلَقُ عليهم وثنيونَ أو اسطوريونَ، وكانَ هؤلاءِ فقط مَن يؤمنُ بذلكَ. اليهودُ الذين إحتفظوا بالايمانِ بإلهٍ واحدٍ، لا أكثر، رَفَضوا دائماً الأساطيرَ الوثنيةَ، ولَمْ يُعطوا ابداً أيَ مصداقيةٍ للقصة.

ومِنَ الغريبِ أن نُلاحظَ أنبثاقَ نظرية ما يُسمى بالكنيسةِ المسيحيةِ من ذيلِ الأساطيرِ. فإن الاندماجَ المباشرَ حَدَثَ في المقامِ الأولِ من خلالِ جَعلِ المؤسسِ ذو السُمعةِ الطيبةِ سماوي المولدِ.

ثالوث الآلهة و ما تلاهُ بَعَدَ ذلكَ ليس سِوى تقليلٍ لعدد الآلهة السابقة الذي كانَ حوالي عشرونَ أو ثلاثونَ ألفاً، فتمثالُ مريمَ نَجَحَ بإستبدالِ تمثالَ ديانا أفسس. الأبطالُ تم تغييرُهمْ إلى قديسينَ. لقَد كان للأساطير آلهة لكلَ شيءٍ وللأساطيرِ المسيحيةِ قديسون لكلَ شيءٍ؛ أَصبَحَت الكنيسةُ مُزدحمَةً، كما كانت المعابد الوثنية، وكانت روما مكاناً لكليهما.

النظريةُ المسيحيةُ ليست شيئاً اخراً سوى وثنيةٍ مِن الأساطيرِ القديمةِ، وتم تبنيها لأغراضِ السلطةِ والإيراداتِ؛ و الآن لا يزال دور العقل والفلسفةِ قائماً لإبطالِ هذا الاحتيال.

الفصل الثالث: يسوع المسيح و تاريخُهُ

لا شيءَ مما ذُكرَ هنا يُمكنُ أن يُعتبَر اساءةً بأقل درجاتِها للطابعِ الحقيقيِ ليسوع المسيح. لقد كان رجلاً فاضلاً ودياً، كانت الأخلاقُ التي بَشَرَ بِها ومارسَها من النوعِ الأكثرُ خيراً؛ وعلى الرغمِ من وجودِ نُظُمٍ مماثلةٍ من الأخلاقِ قد بَشَرَ بها كونفوشيوس، وبعض من الفلاسفةِ الاغريق، قبل سنوات عديدة؛ و من قبل الكويكرز منذ ذلك الحين؛ والكثير من الاشخاصِ الجيدين في جميعِ العصورِ، لكن لم يتفوق عليها من قبل أي منهم.

لم يكتب يسوع المسيح أي بيانٍ عَن نفسِهِ، عن ولادتِهِ، نَسَبِهِ، أو أيَ شيءٍ آخر؛ ولا حتى خطاً واحداً مما يُسمى بالعهدِ الجديدِ فهو ليس من كتاباتِهِ. تاريخُهُ هُوَ تماماً مِن صُنعِ أشخاصٍ آخرينَ؛ وعن البيانِ المعطى لقيامتهِ وصعوده، كان ذلكَ النظيرَ الضروريَ لقصة ولادتِه.

فبعدما جَلَبَهُ المؤرخون إلى العالمِ بطريقةٍ خارقةٍ للطبيعةِ، اضطروا إلى إخراجه منه مرة أخرى بنفس الطريقةِ، وألا بطل الشَطرُ الاول من القصةِ و أُطيحَ بِهِ الى الارض.

الأختراعُ البائسُ الذي يتمثلُ في ادعاءِ الشطر الأخير يتجاوزُ كُلَ شيءٍ مضى من قبل ذلك. إنَ الشطرَ الاولَ هو تصورٌ خارقٌ، ولم يكن شيئاً ممكناً للتأكيدِ من قبلِ العامةِ. وبالتالي كان لرواةِ هذا الشطرِ مِنَ القصةِ هذه الفائدة، فعلى الرغمِ من أنها قد لا تُصدق، فلا يمكن الكشف عن زيفِها. إذ لا يمكن أن يتوقعُ من احدِهمْ إثباتَ ذلك، لأنه لم يكن احدى الأشياء القابلة للإثبات، وكان من المستحيل لشخص قد أُخبرَ بذلك أن يُثبتَه بنفسِهِ.

ولكنَ قيامةَ شخصٍ ميتٍ من القبرِ، و الصُعودُ به في الهواءِ، هو شيءٌ مختلفٌ جداً بالنسبةِ للأدلةِ التي يمكنُ الاعترافُ بِها، مقارنةً مع تصورٍ غيرَ مرئي لطفلٍ في داخل رحمٍ. فالقيامةُ والصعودُ، يفترَضُ أنها قد إتخذَتْ مكاناً ظاهراً لعيانِ العامةِ، كصعودِ المنطادِ، أو سطوع الشمسِ في ظهيرةِ اليومِ، واضحاً لجميعِ من في القدسِ على الأقل.

والشيءُ الذي يتَطلبُ من الجميعِ الإيمانَ بِهِ، يتطلبُ دليلاً و أن يَكونَ هذا الـدليلُ مسـاوياً للجميع، وأن يكونَ عالمياً؛ إن الرأي العام لهذا الفعل الأخيـرِ هـو الـدليل الوحيـد مـن الأدلـة التي يُمكنُ أن تعطي مصداقيةً للشطرِ الاولِ، و إلا بَطُلَتْ القصة بأكملِها وهَوَتْ إلى الأرض.

إن هذهِ الأدلةِ لَمْ تُعطى أبداً. في حينِ إن عدداً قليلاً من الأشخاصِ، ليسوا بأكثرَ من ثمانيةٍ أو تسعةٍ، جُعِلُوا وكلاءً للعالمِ بأسرهِ، ليقولوا إنَهُم رؤوا ذلَكَ، وجميعُ من في العالمِ مدعوينَ لتصديقه.

ولكن يبدو أَن توماس لم يؤُمن بالقيامةِ، وكما يَقولونَ، لَن يُصدِقَ إلا بوجودِ دليلٍ واضـحٍ و ظاهرٍ لَهُ. والسَبَبُ جيدٌ بما فيه الكفايةِ لتوماس كما هو جيدٌ ايضاً لأي شخصٍ اخر.

ومن العسيرِ محاولةِ التخفيفِ عن هذه المسألةِ أو تمويهُها. فالقصةُ، بقدرِ ما يتَعلقُ بها مـن جزءٍ خارقٍ للطبيعةِ، تَحمِلُ في طياتِها كُل علاماتِ الغشِ و الخداعِ. فأياً كان مؤلفُ الكتـابِ فإنهُ مِنَ المُستحيل لنا الآن أن نعرِفَ، وأن نتأكد أن الكتب قـد كُتِبـث مـن قِبـلِ الأشـخاصِ الذين تَحمِلُ أسماؤهم.

أفضلُ دليلٍ ناجٍ لنا الآن من الأدلة التي يُمكنُ احترامها هو اليهود، فهُـم ينحـدرونَ بانتظـامٍ مِن الناسِ الذينَ عاشوا في تلكَ الأوقات التي حَدثَتْ فيها القيامةُ والصعودُ، وهـم يقولـونَ إنها لم تحدُث.

لقد بدا لي مُنذُ فترةٍ طويلةٍ عدمَ تناسقٍ غريبٍ في ذكرِ اليهودِ كدليلٍ علـى حقيقـةِ القصـةِ. انه فقط كقولُ شخصٍ سأُثبتُ حقيقةَ ما أنا قائلٌ لك مـن خلالِ النـاسِ الـذينَ يقولـون إنـهُ غيرُ صحيح.

إن احتمالية وجودِ مِثلِ هذا الشخصِ يسوعٌ المسيحِ و إعـدامِهِ بطريقـة الصَـلبِ المعروفـةِ آنذاك، هي علاقةٌ تاريخيةُ تَقَعُ بدقةٍ ضِمنَ حـدودِ الاحتمـالاتِ. فقـد قيـلَ إنـهُ بشّـر بمكـارمِ الاخلاقِ والمساواةِ بينَ الناسِ. لكنهُ بَشّرَ أيضاً ضد فسادِ و جَشَـعِ الكَهَنـةِ اليهـودِ، وهـذا مـا جَلَبَ لَهُ كراهيةَ وإنتِقامَ نظامَ الكهنوتِ بأجمعهِ.

الإتهامُ الّذي وّجَهَهُ هؤلاء الكهنةِ ضده كان الفِتنةَ والتآمرَ ضِّدَ الحكومةِ الرومانيةِ، التي كان اليهودُ تابعينَ وخاضعينَ لها؛ وليسَ مِنَ المُستبعدِ إمتلاكُ الحكومَةِ الرومانيةِ مخاوفاً سريةً من آثار عقيدتهِ، وكذلكَ الكهَنةَ اليهودُ. فَليسَ من المُسـتحيلِ كـونَ يسـوع المسـيح متـأملاً في خلاصِ الأمةِ اليهوديةِ من عبوديةِ الرومانِ؛ و لكن بينَ هاتين، فَقَـدَ الاصـلاحيُ الثـوريُ حياته.

الفصل الرابع: الأُسس المسيحية

وعلى هذا السردِ للوقائعِ، جنباً إلى جنب معَ حالةٍ اخرى ماضياً بذكرِها، أقـام الأسـطوريونَ المسـيحيونَ الـذينَ يَـدعونَ أنفُسِـهم الكنيسـةَ المسـيحيةَ، خرافتِهِـم بسـخافةٍ و تهـورٍ لا يتَجاوزُهُ أيُ شيءٍ آخر يُمكنُ العُثورُ عليهِ في أساطيرِ القُدماءِ.

رواةُ الأسـاطيرِ القديمـةِ يَقولـونَ لنـا أن عِرقـاً مِـنَ العمالقـةِ قـد أعلَنُـوا الحَـربَ ضِـدَ الآلـه المُشتري، وأن أحدهم ألقى مئةَ صـخرةٍ عليـهِ فـي رميـةٍ واحـدةٍ؛ وأن المشـتريَ قَـد هزَمَـهُ بالرعدِ، وحَبَسَهُ بعدَ ذلكَ تَحتَ جبلِ إتنا، وأنه في كل مرةٍ يستديرُ فيها العملاقُ ينفُثُ جَبَلَ إتنا النارَ عليهِ.

فَمِنَ السهلِ هُنا أَن نَرى أنَ كونَ الجبلِ بركاناً كان اساسَ فِكـرة الخرافـة؛ وبـذلكّ يَتِـمُ صـنع قصةٍ لتجاريَ هذا الظرف.

أصحابُ الأساطيرُ المسيحيونَ يقولـونَ لنـا أن الشـيطانَ قـد أعلَـنَ حربـاً ضـد الـرب، الـذي هزَمَهُ، وحاصَرُهُ بَعَد ذلك، لا تَحتَ جبلٍ، بل في حفرةٍ. فمنَ السهلِ هُنـا أن نـرى أن الخرافـةَ الأولى قَد اوقَدَتْ فكرةَ الثانية. لأن خرافةَ المشتري سَبَقتْ خرافةَ الشيطانِ بمئاتِ السنينِ.

لذلكَ فألاساطيرُ القديمةُ والأساطيرُ المسيحيةُ لا تَختلِفُ كـثيراً عـن بعضـها البعـض. ولكـنَ الأخيرةَ أخَـذَتْ المسـألةَ أبعـدَ بكـثيرٍ. فَقَـد فكـروا بربـط جـزءٍ مِـن خرافـةِ يسـوع المسـيح بخرافةٍ نَشَـأتْ مِـن جبـلِ إتنـا؛ ومـن أجـل ربـط اجـزاءِ القصـةِ معـاً، إتَخَـذوا تقاليـدَ اليهـودِ لمساعدتِهم. ذلك بأن الأساطيرَ المسيحيةَ تتكونُ جزئياً من الأساطيرِ القديمـةِ وجزئيـاً مـن التقاليدِ اليهوديةِ.

أصحابُ الأساطيرِ المسـيحيةِ، بعـدَ أن حبسـوا الشـيطانَ فـي حفـرةٍ، اضـطروا للسَـماحِ لـه بالخروجِ مرةً أخرى لتكملةِ الخرافـةِ. فيتـمُ تَمـثيلُه فـي جنـةِ عـدنٍ بهيئـةِ ثعبـانٍ أو افعـى، وبهذا الشكل يدخلُ بمحادثةٍ مألوفةٍ مَعَ حواء، التي لم تتفاجأ بسماعِ افعىً تتكلم ومُشكلةُ هذا الهراء بأنهُ قد اقنعَها بأكل تفاحةٍ، و انها بأكلها لهذِه التفاحةِ قد لعنـت الجِنـسَ البشـريَ بأسرهِ.

بعدَ إعطاءِ الشيطانِ هذا النصرَ على الخلقِ كلهِ، مـن المتوقـعِ ان يكـونَ أصـحابُ الاسـاطيرِ عطوفينَ بما يكفي لأعادتِه الى الحفرةِ، و ان لم يفعلوا هذا لوضعوا جبلاً عليه (كما يقولون بـأن ايمـانَهم يُحـرِكُ الجبـال) او ان يضـعوه تحـت جبـل كمـا فَعَـلَ أسـلافُهم مِـن اصـحابِ الاساطيرِ، ليمنعوهُ من الاختلاطِ بالنساءِ، و اساءةِ التصرفِ.

لكن بدلاً من ذلكَ فإنهم تركوهُ طليقاً، حـتى دونَ إلزامـه بشـروطِ الافـراجِ عنـه، والسـر هـو أنهم لا يستطيعونَ البقاءَ بدونِهِ. و بعدَ ما تورطوا في خَلقِهِ، ظلّوا يرشونه للبقـاء، فوعـدوه بكل اليهودِ، وكلَّ الأتراكِ بالتوقع، تسعة أعشارٍ من العـالمِ علـى جـانبٍ، ومُحَمّـدٌ كجـزءٍ مـن الصفقةِ. بعد ذلك، من يستطيعُ التشكيكَ في جَودِ الأساطيرِ المسيحيةِ.

وهكذا جعلوا تمرداً ومعركةً في السماءِ، والتي لا يُمكنُ لأيٍ من مقاتليها أن يُقتلَ أو يُصابَ، فوضعوا الشيطانَ في حفرةٍ ثُمَ تَرَكوهُ يَخـرُجُ مـرةً أُخـرى - ليعطـوهُ إنتصـاراً علـى الخلـق بأسرهِ لاعناً البشريةَ جمعاءَ بتناولِهم التفاح.

هكذا ربَطَ أصـحابُ الأسـاطيرِ المسـيحيةِ طرفـيَ الخُرافـةِ معـاً، فَهُـم يُمَثلـونَ هـذا الرجـلَ الفاضلَ الـودودَ، يسـوعَ المسـيح، بكـونِه انسـاناً تـارةً و الهـاً تـارةً أُخـرى، وأيضـاً إبـنَ الإلـه المُنجَبَ من السماءِ من أجل التضحيةِ، لأنهم يقولونَ أن حواءَ قد أكلت تفاحةً.

الفصل الخامس: تفحصٌ لتفاصيلِ الأُسس السابقة

وضعاً جانباً كُلَ ما قد يُثيرُ الضَحِكَ بسبب السخافةِ أو البُغضَ بسببِ الفِسقِ، و تكريسَ أنفسِنا فقط لتفحصِ الأجزاء، فإنهُ لمِنَ المُستحيلِ تَصُورُ قصةٍ أكثرُ اهانةٍ للقدير، أقلُ تناسقاً مع حِكمَتهِ، أكثرُ تناقضاً مع قوتهِ، من هذهِ القصة.

من أجلِ إستدامَتِها كان للمُخترِعِينَ الحاجةِ لإعطاءِ الكيانِ الذي يُسَمونَهُ الشيطانَ، قوةً مساويةً بمقدارٍ كبيرٍ، إن لم تَكن أكبرَ مما نسبوهُ للقديرِ. فلم يُعطوهُ فقط قوةَ تحريرِ نَفسِهِ مِن الحُفرة، بعد ما سَمُوهُ بإلسقوط، ولّكنَم ضاعفوا قُدرتِه بعدَ ذلك إلى ما لا نهاية.

قَبلَ هذا السقوط كانوا يُمثلونه كَملاكٍ محدود الوجودِ، كبقيةِ الملائكة. لكن بعد سقوطهِ، يُصبِحُ، حَسَبَ إدعائِهم، موجوداً في كلِ مكانٍ، محتلاً كاملَ مساحةِ الفضاءِ ايضاً.

و ما زالوا غيرَ راضينَ بهذا التأليهِ للشيطانِ، فإنهم يُمثِلونَهُ هازماً بحيلتِه بشكلِ حيوانٍ من الخلقِ، كُلَ قوةِ وحكمةِ القديرِ، ممثلين أياهُ على انه دَفَعَ القديرَ إلى ضرورةِ تسليمَ جميعِ الخليقةِ الى حُكمِ و سيادةِ الشيطانِ، أو الاستسلامِ من أجل خلاصهم بالنزولِ إلى الارضِ للتضحيةِ بنفسهِ على الصليبِ بهيئةِ أنسانٍ.

لو أن مخترعي هذه الخرافةِ كانوا قد سَرَدوها على العكس، ممثلينَ القديرَ مخيراً الشيطانَ بالتضحيةَ بنفسِهِ على الصليب بهيئةِ ثعبانٍ كعقاب له لكانت القِصةُ أقل تناقضاً و سخفاً. ولّكنهم بدلاً من ذلك جَعَلوا للمخالفَ انتصاراً، و للقديرِ سقوطاً.

إن العديدَ من الرجالِ الصالحينَ يؤمنونَ بهذه الخرافةِ، وعاشوا حياةً جيدة جداً في ظلِ هذا الاعتقادِ (فالسذاجةُ ليست بجريمةٍ)، هذا ما لا أشكُ فيه. ففي المقام الأول، قد تم تلقينُهم بأنْ يُؤمنوا بهذا، وكانوا سيؤمنونَ بأي شيءٍ آخرٍ قد لُقنوا به بنفسِ الطريقةِ.

وهناك أيضاً العديدَ مِمَن كانوا متحمسينَ جداً لتصورِ الحُبِ اللا محدودِ من قبل القديرِ في التضحيةِ بنفسه. لكن الحظرَ الفكريَ قد منعهم من النظر في عبثيةِ و بذائـةِ القصـة. فكلمـا كان الشيءُ غيرَ طبيعياً، كلّما كان أكثَـرَ قُـدرةً علـى أن يُصـبِحَ موضـوعاً للأعجـاب الكئيـب للأنسان.

الفصل السادس: عن اللاهوت الحقيقي

ولكن إن كانت الأُمورُ المثيرةُ للأعجابِ و الأمتنـانِ هـي غايثنـا، الا تتمثـلُ كُـلَ سـاعةٍ أمـامَ أعينِنا؟ الا نَرَى خلقاً عادلاً يَحتَوينا لَحظَةَ وِلادتنـا، عالماً ملـئ أيـدينا، لا يكلفنـا شـيئا؟ هـل نَحنُ مَن يضيءُ الشَمسَ، أو مَـنَ يَصُـبُ المَطَـرَ، ويملـئ الأرضَ خيـراً؟ فسـواء كُنـا نيامـاً أم مُستيقضينَ، فإن الآلاتَ الواسعةَ للكونَ لا تزال تَمضي.

هل هذهِ الأشياءُ، وبركاتِها المُستقبليةَ، لا تعني لنـا شـيئاً؟ ألا يمكـنُ لمشـاعرِنا الإجماليـةِ أن تتحمَسَ مِن قِبلِ أيِ موضوعٍ أخرٍ سِوى مواضيعِ المأسـاةِ والانتحـارِ؟ أم أنَ الفخـرَ الكئيـبَ للأنسانِ اصبَحَ لا يطاقُ، لدرجةِ أن لا شيء يُمكنُ أَن يُرضيَهُ سِوى تضحيةِ الخالقِ؟

أنا أعلم أن هذا التحقيقَ الجريءَ سوفَ يُفزِعُ الكثَيـر، ولّكـن ذلـكَ مِـن شَـأنه أن يُظهِـر لّهـم مدى السذاجةِ التي يَحملونها على عاتِقِهم، ان الزمنَ و الامرَ يتطلبانِ ذلك.

الشَكُ في أَن نظريةَ ما يُسمى بالكنيسـةِ المسـيحيةِ كونُهـا خرافـةً أصبح واسـعاً جـداً فـي جميعِ البلاد؛ وسيكونَ سلوىً للناسِ الذينَ يَشِكونَ في ما يُصَدِقونه وما لا يُصَدقون، رؤيـة الموضوعِ يُختبر بحريةٍ. ولذلكَ، فإنني أَتقَدَمُ لدراسةِ الكتُـبِ الّـتي تُسـمى بالعهـد القـديمِ و العهدَ الجديد.

الفصل السابع: عن العهد القديم

هذهِ الكتب، بدءاً من سفرِ التكوين و انتهاءً مع الرؤيا (جمعاً هي كتب الألغاز التي تتطلب وحياً لشرحها)، هي كما يقال لنا كلمة الرب. ولذلك، فمن السليم أن نعرف من قال لنا ذلك، لكي نقررَ اعطاءَ مصداقيةِ لهذه الاخبار.

الجواب على هذا السؤال هو أن لا أحدَ يستطيعُ القول، سِوى إننا قَد اخبرنا بعضنا البعض بذلك. ومع هذا، تاريخياً يبدو الامرُ كما يلي: عندما أسَسَ أصحاب الأساطير الكنسية نِظامَهم، فإنهم جمعوا كل الكتاباتِ التي استطاعوا ايجادَها و قاموا بالتصرف بها كما يحلو لهم.

إنها لمسألة عدمَ يقينٍ بالنسبةِ لنا كونَ هذهِ الكتاباتِ كما تظهر الآن تحت اسم العهد القديم والجديد هي في نفسِ الحالةِ التي يقالُ ان جامعيها قد جَمَعوها، أو ما إذا كانوا قد اضافوا اليها، أو غيروها، أو لخصوها، أو البسوها.

فقد قرَرَوا بالتصويتِ على أيٍ مِنَ الكتب التي صنعوها تصلح أن تكون كلام الرب، و أيٍّ منها ما لا يصلح. فرَفَضوا عدةً؛ وصوتوا لآخرين بأن يكون مشكوكاً بهِم، مثلَ الكتاب الذي يُسمى أبوكريفا؛ الكتب التي اخذت غالبَ الأصواتِ، قُرِرَت أن تَكونَ كلمةَ الرب.

و لو إنهم صوتوا خلافاً لذلكَ، لآمن كُلَ الناسِ الذينَ يطلقونَ على أنفُسِهم المسيحيين خلاف ذلك. ذلكَ بأنَ أيمانَ شخصٍ يأتي من تصويت الآخر.

أياً كان من فعلَ كُلَ هذا فنَحنُ لا نَعرِفُ شيئاً عنهم سِوى أنهـم أطلقـوا علـى أنفُسـهم اسـم الكنيسةِ، وهذا كل ما نَعرِفَهُ عن هذه المسألة. كما انه ليس لـدينا أي دليـلٍ خـارجيٍ آخـر أو سُلطةٍ أُخرى للايمان بهذه الكتبِ على انها كَلمَةُ الربِ سِوى ما تم ذِكرَهُ، وذلك لا يُمثِلُ دليلاً أو سلطةً على الإطلاق.

فمضيتُ في الموضعِ التالي، لتفحصِ الأدلةِ الداخليةِ الواردةِ في الكتبِ نَفسِها. لقد تحدثت عن الوحي في مكانٍ سابق في هذا الكتاب؛ أنا أمضي الآن بهذا الموضوع، بغـرضِ تطـبيقهِ على الكتبِ المعنيةِ.

الوحيُ هو تواصلٌ من شيء ما الى شخص يُكشَفُ له عن ما لم يُعرَفَ من قبل. إذا كُنتُ قد فَعلتُ شيئاً، أو رأيت أحداً يقومُ به، فإنه لا حاجةَ لـوحيٍ يخـبرني أنـي قـد فَعَلـتُ ذلـك، أو رأيتُ ذلك، ولا حتى ليُسمَحَ لي أن أقولَ او اكتبَ ذلـك. وبالتـالي، لا يُمكـنُ تطـبيقُ الـوحي على أي شيء قد تَم القيام به على الأرضِ، حيثُ يكونُ فيهِ الأنسانُ هو الفاعلُ او الشاهد.

وبالتـالي كـلُ الأجـزاءِ التاريخيـةِ والقصصـيةِ مِـنَ الكتـابِ المُقـدسِ، الـتي تكـاد ان تُشـكلَ أجمَعَهُ، ليست ضِمنَ المعنى والبوصلةِ الخاصةِ بكلمةِ الوحي، وبالتالي، ليست كَلِمةَ الرب.

عندما هرَبَ سامسون من بواباتِ غزة، إذا حدثَ ذلـكَ منـذُ أي وقـتٍ مضـى (و ان كـان قـد فعل أم لم يفعل فلا شأن لنا بـه)، أو عنـدما زار دلايلا، أو امسَـكَ ثَعـالِبَهُ، أو فَعَـلَ أي شـيءٍ آخر، ما علاقةُ الوحيِ بكلِ هذا؟ إذا كانت حقائقَ، لقال ذلك بِنفسِه، أو لقامَ بذلك سـكرتيره، إن كانَ لديه أحَدٌ يمكنُ أن يكتُبَ لَهُ، إن كـانت تَسـتَحِقُ الإخبـارَ أو الكتابـةَ؛ وإذا كـانت مـن الخيالِ، فالوحيُ لا يمكنُ أن يجعلَها حقيقةً. وعما إذا كانت حقيقةً أم لا، فنحنُ لسنا بأفضلَ حالاً ولا اكثرَ حكمةً بمعرفَتِنا لها.

وعندما نُفكرُ في عظمةِ الـذي يُـوجهِ ويَحكـمُ الكـونَ ككـلٍ، الـذي لا يسـتطيعُ البَصَـرَ ادراكَ سِوى جُزءٍ ضئيلٍ مِنهُ، يَجِبُ أن نَشعُرَ بالخَجَلِ مِن تَسميةِ مِثل هكذا قصص كَلمةَ الرب.

أما عن حسابِ الخلقِ، الذي يفتتحُ به كتابُ سفرِ التكوين، يحتوي كُلَ مظاهرِ التقاليدِ التي حَمَلَها الإسرائيليونُ بينَهُم قبلَ أن يأتوا إلى مصر. و بعدَ رحيلِهم عن ذلكَ البلد وضعوهُ فـي مُقدمةِ التاريخِ، دون ذِكرِ أَنَهُم لَم يَعلَموا كيفَ أتوا بها (على الغالب).

طريقةُ افتتاحيةِ البيانِ تبدو تقليديةً. وتبدأ فجأةً؛ لا أحد يتحدثُ و لا أحد يسمعُ و ليستْ موجهةً لأحد. ليـسَ فيهـا شَـخصٌ اول و لا ثـانٍ و لا ثـالث. إنهـا تحمـلُ كُـلَ معـايير كونهـا تقليداً؛ فلا يوجدُ لها مستندٌ. و موسى لا يأخذُ على عاتقه إدخالَها بالشكلِ الـذي يسـتخدمهُ في مناسباتٍ أُخرى، مثل أن يقول: "الرب يُحدثُ موسى، قائلاً ".

أني لفي حيرةٍ لمَ سُميَ هذا بمبدأ الخليقةِ لموسى، أعتقدُ ان موسى كان أكـثر حكمـةً فـي هذا الموضوع من ان يضَعَ إسمَهُ عليهِ. فقَد تَلَقـى تعليمَـهُ بيـنَ المصـريين الـذينَ كـانوا مـن ذوي المهارةِ في العلومِ، وخاصة في علم الفلك، مِثلَ أيِ شعبٍ آخر فـي زَمـانِهم؛ و الصـمتُ والحَذَرُ الذي اخذهُ موسى في عدمِ المُصادقةِ على هذا البيان هو دليلٌ سلبيٌ جيد على إنهُ لم يَقُل ذلَكَ ولم يؤمن به.

أن القضيةَ هيَ إن كُلَ أمةٍ مِنَ الناسِ كانوا صناعاً للعالم وكذلكَ كان لإسرائيلُ الحقُ في إقامـةِ ممارسـةِ ذلـكَ كالبقيـة. و بمـا أنَ موسـى لـم يكـن إسـرائيلياً، فأختـارَ أن لا يناقض التقليد. ومع ذلك، فإن البيانَ غيرَ مؤذيٍ. وهذا هو أكثرُ مما يمكنُ أَن يقالَ على أجزاءٍ أُخرى كثيرةٍ من الكتابِ المقدسِ.

كلما قرأنا القصصَ الفاحشةَ، والفسوقَ الشهواني، وحالاتِ الإعدامِ القاسيةِ والتعذيبِ، والانتقامِ الصارمِ الذي يملئُ أكثرَ مِن نصفِ الكتابِ المقدسِ، فإنهُ لن تكونَ تسميتها كَلِمَةَ شيطانٍ أقلَ تناسقاً عَوضاً عَن كلمةَ الرب.

إنهُ تاريخُ الشرِ، الذي أدى إلى فسادِ ووحشيةِ البشريةِ؛ و انا بدوري أبغضُهُ بصدقٍ، و أكرهُ كُلَ ما هو قاسٍ. فنحنُ نادراً ما نجدُ شيء يستحق إلأهانة او الازدراء، الا عند تناولِنا للكتابِ المقدسِ، عدا بعض العبارات منه.

ففي المنشورات المجهولة، والمزامير، وكتاب العمل، وعلى الأخص في هذا الأخير، نجد الكثير من المشاعر المرتفعة المُعبرُ عنها بصورةٍ تعبيريةٍ عن القوةِ والحماسةِ الآلهية. لكنها لا تقِفُ في منزلةٍ أعلى من العديد من التراكيب الأخرى، في مواقف و مواضيع مماثلة، قد سبقتها منذ ذلك الحين.

الأمثالُ التي يقالُ أن سليمانَ قد ألفها، على الرغمِ مِن أنه تمَ تجميعُها على الأرجح (لأنها تكشف معارفً عن الحياةِ لا يُمكنُ له معرفتها) هي قائمةٌ من الايعازاتِ الاخلاقيةِ التي هي اقلُ فِطنةً من أمثال الإسبان، وليست بأكثرَ حِكمةٍ أو انفعَ اقتصاديةٍ من تلكَ التي اتى بها فرانكلين.

جميعُ ما تَبقّى من الكتابِ المقدسِ، والمعروفةِ عموماً باسماءِ الأنبياء، هي أعمالُ الشعراءِ اليهودِ والدعاةُ المتجولينَ، الذينَ خَلَطوا الشِعرَ، والحكاياتَ، والتفانيَ معاً، وهذه الأعمالُ لا تزالُ تحتفظُ بهوى ونمطٍ شعريٍ، وإن كانت في الترجمة.

"اسمعي يا سماء، و أنصتي يا أرض"

"هنا الرب بنفسه يطلب الانتباه"

مثال آخر أقتبسه من إرميا الحزن، و عَليهِ أضيفُ سَطرينِ آخرينِ، لتبيين نية الشاعر.

"يا، لرأسي من المياه و يا لعيني"

"كالينابيع التي كسائل السماء تجري"

"و بعدها سأفرج بقوة عن الفيضان"

"و أبكي على طوفان عرق الانسان"

ليسَ هُناكَ، في جميع أنحاءِ الكتابِ الذي يُدعى بالمقدسِ، أيَ كَلمةٍ تَصِفُ لنا ما نُسميه الشاعر، ولا أيَ كَلِمةٍ تَصِفُ ما نُسَميهِ الشِعرَ. والقضيةُ هيَ، أن كلمةَ النبي، والتي قد اضافت فِكرةً جديدةً في وقتٍ لاحق ، كانت وصفَ الكتابِ المقدسِ للشاعر، وكَلمةَ التنبؤ تعني فَن صُنعِ الشعرِ. كما أنها تعني فن إلقاءِ الشعرِ على لحنِ أيِ اداةٍ من ادواتِ الموسيقى.

لقد قرأنا عن التنبؤ بالمزاميرِ، بالطبولِ، و بالابواقِ، و عن التنبؤ بالقيثارةِ، بالربابِ، بالصنجِ، و كل الادواتِ الموسيقيةِ الاخرى المتعارفِ عليها آنذاك. لو كُنا نَتَحدَثُ الآن عن التنبؤِ بأستخدامِ الكمانِ، او الطبلِ و العصا، لظَهَرَ التعبيرُ بلا معنيٍ، او لبدى سخيفاً، بل سيبدو ازدراءً لبعضِ الناسِ، ذلكَ بأننا قد غيرنا معنى الكلمة.

قد قيلَ لنا أن شاؤول كان مِن الأنبياءِ، وأيضا أنهُ قد تنبأ. ولكننا لَم نُخبر بما تنبأ، ولا ما تنبؤوا هم به. القضيةُ هيَ أنَهُ لَم يكنْ هناك ما يقال لأن هؤلاءِ الأنبياءِ كانوا من الموسيقيينَ والشعراءِ، وإنضم شاؤولُ الى الحفلِ، وكان ذلك يُسمى النبوؤة.

البيانُ المعطى لهذهِ القضيةِ في كتاب يُدعى صموئيل، أن شاؤول التقى بمجموعةٍ من الأنبياءِ. مجموعةٍ بأكملها مِنهم! حاملونَ سنطوراً، وطبلاً، ومزماراً، وقيثارةً، وأنهم تنبأوا، وأنه قد تنبأ معَهُم.

ولكن يبدو بعدَ ذلك، أن شاؤولَ قَد تنبأ بصورةٍ سيئةٍ، و كان يؤدي دورهُ بصورةٍ سيئةٍ. لأنهُ يقالُ بأن "روحاً شريرةً من الربِ قد حلّت على شاؤول، وقد تنبأ".

الآن، لا يوجدُ أي مقطعٍ آخرٍ في الكتابِ المسمى بالمقدس، لإثباتِ لنا أننا قد فقدنا المعنى الأصليَ لكلمةِ النبوؤةِ، واستبدلناها بمعنىً آخر، لكان هذا وَحدُه كافياً؛ لأنه من المستحيلِ استخدامِ وتطبيقِ كلمةَ النبوؤة في المكانِ المُستخدمِ هنا وتطبيقها بالمعنى الذي الصقناهُ بها في وقتٍ لاحقٍ.

الطريقةُ التي تمَ إستخدامُها هنا تَنسَلِخُ عن كُلِ معنىٍ ديني، بأنَ رجلاً قد يكونُ نبياً، أو قد يتنبأ، لأنه قد يكونُ الآن شاعراً أو موسيقاً، دونَ أي اعتبارٌ لأخلاقِ أو عدمِ اخلاقِ شخصيتهِ. ولكنَ الكلمةَ في الأصلِ مُصطلحٌ علميٌ، وتم تطبيقُها بِشكلٍ مشوشٍ في الشعرِ والموسيقى، وليست مقيدةً بأي نوعٍ من الشعرِ او الموسيقى التي تمارس.

لقد سُميوا ديبورا وباراك أنبياءً، ليس لأنهم تنبأوا بأي شيءٍ، ولكن لأنهم قد الفوا قصيدةً أو أغنيةً تحملُ اسمائَهم، احتفالاً بعملٍ قد أُنجزَ. يعتبر داود من الأنبياءِ، لأنهُ كان موسيقياً، وكانت له سُمعةً (على الرغم من مدى عدم صحتها) بأنه مؤلفُ المزاميرِ. لكن إبراهيم، إسحاقَ، ويعقوبَ لا يسمونَ أنبياءً. فإنه لا يظهر من أي البيانات لدينا، أنهم قد غنوا او عزفوا الموسيقى، أو الفوا الشعر.

لقد أُخبرنا عَن الأنبياء الاعظم شأناً و الادنى. لذلك قد يخبروننا عن الاربابِ الاعظمُ و الادنى شأناً. لأنهُ لا يُمكنُ أن تَكونَ هُناكَ درجاتٌ في التنبؤ بأستمرار بالمعنى المعاصر. ولكن هناك درجات في الشعر، وبالتالي فإن العبارة قابلة للتوفيق مع القضية، عندما نفهم بها الشعراء الاعظمُ و الادنى.

ومـن غيـر الضـروريِ تمامـاً، بعـد ذلـكَ، تقـديمُ أي ملاحظـاتٍ عـن مـا كتبَـهُ هـؤلاء الرجـالِ الأنبياءِ . فالفأسُ يَذهَبُ مرةً واحدةً إلى الجذرِ، من خلالِ إظهارِ أن المعنى الأصـلي للكلمـة كان مُخطئاً، وبالتالي فكل الاستدلالاتِ التي تـم استخلاصُـها مـن تِلـكَ الكتـب، والاحـترامُ التعبديُ الذي تم دفعها لهم، والتعليقاتِ الشـاقةِ الـتي قـد كُتبـث عَنهُـم تحـت هـذا المعنـى الخاطِئ لا تستحقُ الجدال. ومَعَ ذلكَ، في مناسباتٍ كثيرةٍ تستحقُ كتاباتُ الشعراءِ اليهود مصيراً أفضلاً مِن كونها ملزمةً، كما هـي الآن، مـع القمامـة الـتي ترافقهـا، تحـتَ أسـم كلمـة الربِ المساءُ اليها.

وإذا سمحنا لأنفُسِنا بأَن نَتَصورَ أفكاراً صـحيحةً للأشـياء، يَجِـبُ أن نضَـعَ بالضـرورةِ فكـرةً غيرُ قابلية التغييرِ، و من المستحيلِ مطلقاً لأي تغييرٍ أن يحدث لها بـأي وسـيلةٍ أو حـادثٍ مهما كان، فنُكرِمُها بتَسميتِها كَلِمةَ الرب. وبالتالي فإن كلمةَ الرب لا يمكـنُ أن توجـد فـي أي لُغةٍ مكتوبةٍ أو إنسانيةٍ.

إن التغييرَ التدريجيَ المُستمرَ الذي تخضعُ لَهُ معاني الكلمات، وضرورةِ وجـودِ لغـةٍ عالميـةٍ تجعلُ الترجمةَ ضروريةً، والأخطاءُ التي تخضعُ لها الترجماتُ مـرة أخـرى، وأخطـاءُ النسـخِ والمطابعِ، إلى جانِبِ إمكانيةِ التغيير المتعمدِ، تُثبـثُ أن لُغـةَ الإنسـانِ، سـواءً فـي الكلام أو في الطباعةِ، لا يُمكنُ أن تَكونَ وَسيلةً لكلمةِ الربِ. كلمةُ الربِ موجودةً في شيءٍ آخر.

و حتى لو كانَ الكتـابُ المسـى بالمقـدس متفوقـاً فـي نقـاءِ الأفكـارِ والتعـابيرِ عـن الكتُـبِ الموجودةِ الآن في العالم، لَن أُسلمَ بكونِهِ كلمة الربِ. لأن الاحتمالَ لن يكونَ أبـداً أقـل مـن فرضيةٍ. ولكن عِندما أرى في الجُزءِ الأكبرِ مِن هذا الكتابِ تاريخاً من الرذائلِ الأكـثرَ جُـرأةً، ومجموعـةً مـن الحكايـاتِ الأكـثرَ تِكـراراً وازدراءً، فلا يُمكـنُ أن أُقلـلَ مِـن شـأنِ خـالقي بتسمَيتي هذا بإسمهِ.

الفصل الثامن: عن العهد الجديد

سأتطرقُ الآن إلى الكتابِ الـذي يُسمى بالعهدِ الجديـدِ. العهد الجديـد! هـذا كـل مـا هنـاكَ، الإرادةُ الجديدةُ، كما لـو كـان هنـاكَ ارادتـانِ اثنتـانِ للخـالقِ. لـو كـان هـدَفَ أو نيـةَ يسـوعَ المسيحَ إقامةً دينٍ جديدٍ، فإنهُ بلا شك كانَ سيكتُبُ النظـامَ بنفسِـهِ، أو يجعلـه يُكتَـبُ فـي حياتِهِ. ولكن لا يوجدُ منشور موثقٌ مصحوبٌ بإسـمهِ. فَقَـد كُتِبَـت كُـلُ الكتُـبِ الـتي تُسـمى العهدَ الجديد بعدَ وفاتِه. كان يهودياً بالولادةِ والمهنةِ؛ وكان إبـن الـربِ بالطريقـةِ الـتي كُـلُ شخصٍ آخر كذلك؛ لأن الخالقَ هو أبُ الجميع.

الكتُبُ الأربعة الأولى، متّى، مُرقُص، لوقـا، ويوحنـا، لا تـروي حيـاةَ يسـوع المسـيح، ولكـن فقط حكاياتٍ مُنَفَصِلةٍ عَنهُ. ويبدو من هذِه الكتبِ أن الوقتَ كله من كـونِه واعظـاً لـم يَكـن أَكثَرَ من ثمانيةَ عشر شهراً. ولم يَكن لهؤلاءِ الرجالِ عِلمٌ به إلا خلال هذهِ الفترةِ القصيرةِ.

يَقولونَ أنه كان يجلس بين الأطباء اليهود، في سن اثني عشـر عامـاً، يسـألُ و يجيـبُ عـن أسئلتِهم. كان ذلكَ قَبلَ عدةِ سنواتٍ مِن بدأ معرفتِهم به، فمِنَ الأكثرَ أنهـم قـد سَـمِعُوا هـذه الحكايةَ من والديهِ، ومنذُ ذلكَ الحينِ لا يوجدُ أيُ بيانٍ عنه لمدةِ ست عشر عاماً.

أينَ كانَ يسكنُ، أو كيف كَسَـبَ عيشـهُ خلال تلـك الفـترةِ هُمـا أمـرانِ غيـرِ معروفيـن. علـى الأرجح كانَ يعملُ في مهنةِ والـدِه، وكـانت تلَـكَ النجـارةَ. لا يبـدو أنـهُ كـان لـديهِ أيُ تعليـمٍ مدرسي، و الغالبُ أنه لا يستطيعُ الكتابةَ، لأن والديه كانوا فقراءً للغايةِ، كما يبدو من عــدمِ استطاعَتِهم دفَعَ ثمنَ السريرِ عند ولادَتِه.

ومنَ الغريبِ إلى حدٍ ما أن الأشخاصَ الثلاثةَ الذينَ أشتهَرت أسماؤهُم على نطاقٍ عالميٍ هم من أُبوةٍ غامضةٍ جداً. كان موسى لقيطاً، ووُلِدَ يسوع في حظيرةٍ، و كان مُحمدٌ سائقاً للبغالِ. كان اولُهم و اخُرهم مؤسسينَ لأنظمةٍ مختلفةٍ من الدينِ، لكنَ يسوعَ لم يأتِ بنظامٍ جديدٍ، لقد دعا الى مكارمِ الاخلاقِ، و الايمانِ بربٍ واحدٍ، ما مَيَزَهُ هيَ شخصيتُه الانسانية.

وتبينَ مِنَ الطريقةِ الّتي أُلقيَ القبضُ عليه أنه لم يَكن معروفاً آنذاك؛ ويُظهرُ أيضاً أن الاجتماعات التي عقدها معَ أتباعِه كانث سريةً؛ وإنهُ أمتنَعَ أو علّقَ الوعظ علناً. لم يكن ليهوذا أن يخونَهُ إلا مِن خلالِ إعطاءِ معلوماتٍ عَن مكانهِ دالاً الضباطَ الذينَ ذَهَبوا لاعتقاله؛ وسبَبَ توظيفِ ودفعِ يهوذا للقيام بذلك يمكنُ أن يَنشأَ فقط من الأسباب التي سَبَقَ ذِكرُها، أنه لم يكن معروفاً كثيراً، و كانَ يعيش في تخفيٍ.

إن فكرةَ إخفائهِ لا تتناقضُ فقط مع ألوهيتِهِ، ولكن يرتبطُ بها شيئاً من الجبنِ أو الخيانةِ بعبارة أخرى، فالقاءُ القبضِ عليهِ بناءً على معلوماتِ أحد أتباعه يدل على إنه لم يكن ينوي ان يَتِمَ القَبضُ عليهِ، وبالتالي فأنَهُ لم ينوِ أن يُصلَبَ كما يُخبُرنا اصحابُ الأساطير المسيحيةِ بأن المسيح قد ماتَ بسببِ خطايا العالم، وأنهُ جاءَ بغرض الموتِ. ألم يكن عندئذٍ نفس الشيء لو انه قد ماتَ مِنَ الحُمى أو الجدري أو الشيخوخةِ أو أي شيءٍ آخر؟

إن الحُكمَ الذي أُطلق على ادم بأكله التفاح، كان الموت و لكن لم تكن الصَلبَ بالتأكيد، فكان الحكمُ هو الموتُ و ليس طريقةُ الموتِ، وبالتالي الصلبُ، أو أي طريقةٍ أخرى معينةٍ من الموت، لم تكن جزءً من الحكمِ الذي يعانيه آدم وبالتالي، حتى على ترتيبهم الخاص، فإنه لا يُمكِنُ أن تَحِلَ معاناةُ المسيحِ بدلاً لعقوبةِ آدم. فقد تفعلُ الحُمى ما يفعلُه الصَلبُ، إذا كان هناك من داعٍ لأيٍ منهما.

عقوبةُ الموتِ هذِه، التي، كما يقولون لنا، قد تم تمريرُها على آدم، لا بُد ان تعني اما الموتَ بشكلٍ طبيعي، الذي هو، التوقُفُ عَنْ العيشِ، أو يعني ما يسميهِ اصحابُ الأساطيرِ بالأدانة؛

وبالتالي، فإن الموتَ مِن جانب يسوع المسيح، يجبُ، وفقا لنظامهم، أن ينطبقَ كوقايةٍ لأحد هذينِ الأمرين التي تحدث لآدم ولنا.

أن عدم منعه للموت هو امرٌ واضحٌ، لأننا جميعا نموت. وإذا كانت حساباتهم لطول العمرِ صحيحةً، فإن الاشخاصَ الذينَ يموتونَ بشكلٍ أسرع مُنذُ الصلب عن ما قبله؛ وفيما يتعلق بالتفسير الثاني، (بما في ذلك الموت الطبيعي ليسوع المسيح كبديل عن الموت الأبدي أو أدانة الخليقة بأجمعها)، فهو يمثلُ الخالقَ بشكلٍ قاطع على إنه يخرج عن، أو يُلغيَ العقوبةَ، عن طريق التلاعبِ بكلمةِ الموتِ.

صانعُ هذا التلاعب الكلامي، القديسُ بولس، إن كان قد كَتَبَ الكتبَ التي تَحمِلُ إسمه فعلاً، قد ساعد هذا التلاعب عن طريقِ تلاعبٍ آخر بكلمة آدم. انه يجعلُ اثنينِ مِن آدم. الاول الذي يُخطئ في الواقع، ويعاني بالوكالة؛ والآخرُ الذي يخطئُ بالوكالةِ، ويعاني في الواقع. وهكذا فإن الدين الذي يتداخل معَ الخداعِ والحيلةِ و الاحاجي يميلُ إلى توجيهِ أساتذتهِ في ممارسةِ هذهِ الفنون. إنَهُم يَكتَسبونَ هذهِ العادةَ دون أن يكونوا على بينةٍ من السبب.

إذا كان يسوع المسيح هو الكائنُ الذي يُخبِرُنا عَنهُ أصحابُ الأساطير، وأنه جاءَ إلى هذا العالم ليعاني، وهي الكلمة التي يستخدمونها أحياناً بدلاً عن الموت، فإن المعاناةِ الحقيقيةِ الوحيدةِ التي كان قد تحمَلَها هي العيش. وكان وجوده هنا حالةً من المنفى أو النقل من السماء، وكانَ الطريقُ إلى وطنهِ الاصليِ هو الموت. في النهاية، كُل شيءٍ في هذا النظامِ الغريبِ هو عكسُ ما يدعي أن يكونَ عليهِ. إنهُ عكسُ الحقيقةِ، وأصبحتُ مُتعباً جداً من النظر في تناقضاتِها وسخافاتِها، وأنني سأسارعُ إلى اختتامها، من أجلِ المضي قُدماً نحوَ شيءٍ أفضل.

كم، أو أي جزء من أجزاء الكتب التي تسمى بالعهد الجديد، ان كانت مكتوبةً فعلاً من قبل الأشخاص الذين تحملُ أسماؤهم، هو ما لا يمكنُنا الآن معرفتهُ، ولسنا متأكدينَ من اللغة التي كُتِبَت بها اصلاً. ويُمكنُ أن تُصَنَفَ المسائلُ التي تحتوي عليها الآن في صنفينِ: الحكايات، والمراسلات المسرحية.

الكتُبُ الأربعةُ التي سُبِقَ ذِكرُها، متّى، مُرقُص، لوقا، ويوحنا، هي قصصيةٌ تماماً. وهي تتصل بالأحداثِ بعد وقوعِها. يقولون ما فَعَلَهُ يسوعُ المسيحُ وما قالَهُ، وما فعله الآخرون وقالوهُ؛ وفي حالاتٍ عديدةٍ تصف الحدث نفسهُ بشكلٍ مختلفٍ. الوحيُ لا بُدَ أن يكونَ خارجَ الاعتبارِ من المسألةِ فيما يتعلقُ بتلك الكتبِ؛ ليسَ فقط بسبب اختلافاتِها، ولكن لأن الوحي لا يُمكنُ أَن يُطبَقَ على الوقائعِ المتعلقةِ بالأشخاصِ الذينَ رأوا هذهِ الوقائع، ولا على صلةٍ أو تسجيلٍ لأي خطابٍ أو محادثةٍ من قِبلِ أولئك الذين سمعوها. الكتابُ المسمى أعمال الرسل (عملٌ مجهول) ينتمي أيضا إلى الجزء القصصي.

جميع الأجزاءِ الأُخرى مَنَ العهدَ الجديدِ، باستثناءِ كتابِ الألغازِ المسمى الوحي، هي عبارةٌ عن مجموعةٍ من الرسائلِ تحت أسمِ المراسلاتِ. وتزويرُ الرسائلِ كانَ مِنَ الممارساتِ الشائعةِ في العالم، إنَ احتمالي كونِها حقيقيةً أم مزورةً هما متساويانِ على الأقل . إلا أن هناك شيئاً واحدا أقَلَ مساواةٍ، أي أنه من بين المسائل الواردة في تلك الكتبِ، جنباً إلى جنب مع بعض القصص القديمة، قد أنشأت الكنيسةُ نظاماً دينياً متناقضاً جداً مع شخصيةِ الشخصِ الذي يحملُ إسمه. فقد أنشأت ديناً من الارباح و الإيراداتِ في التقليدِ المزعومِ لشخصٍ كانت حياتُه التواضعُ والفقر.

اختراعُ العذابِ، وتخليصُ النفوسِ مِنهُ عن طريق الصلوات أشتُريَ من الكنيسة بالمال. وتم بيع العفوِ، والتسوياتِ، والتسامح، هذه هي قوانين الإيرادات، دون ان تحملَ هذا الاسمَ أو تحملَ هذا المظهر. ولكنَ القضية أن تلك الأشياء تستمد أصلها من فكرة الصَلبْ،

والنظرية التي نَتَجـث منها هـي أن شخصاً يمكـن أن يَحـلَ محـلَ آخـر، ويمكـنُ أن يـؤديَ خدماتٍ جديرةٍ له.

وبالتالي، فإن إحتمالَ كونَ نظرية أو مذهب ما يسمى الفداء (الذي يقال أنه قد تم إنجــازه من قبل شخص في محل شخص آخر) كان في الأصل ملفقاً عمداً مـن أجـل المضـي قُـدماً لبناءِ جميعِ تلكَ الايراداتِ الماليةِ؛ وإن المقاطعَ في الكتب الـتي بُنيَـت عليهـا فِكـرة نظريـة الخلاص، تم تصنيعُها لهذا الغرض.

ولماذا نعطي هذا الائتمان للكنيسة عندما تخبرنا أن هذه الكتب حقيقية في كل جزءٍ جنباً الى جنب مع أي شيءٍ اخر أخبرتنا به؛ أو للمعجزات التي تقول أنهـا قـد حصـلت؟ أمكانيـة تلفيقها للكتب شيءٌ مؤكدٌ لأن الكتُبَ يُمكنُ أن تُكتَـبَ. و الكتابـات المعنيـةُ مـن هـذا النـوع يُمكن لأي شخصٍ كتابَتُها؛ و احتمالُ صنعها لهـذهِ الكتـبِ ليـس اقـل أنسـجاماً مـع أدعاءهـا بأنها قد صنعت المعجزات.

ومنذ ذلكَ الحينِ، لا يُمكنُ أن تُنتجُ أي أدلةٍ خارجيةٍ، عبر هـذه المسـافات الزمنيـةِ الطويلـةِ لإثبات ما إذا كانت الكنيسة قد خَلَقَث المذهب المسـمى بالفـداءِ أم لا، (لهـذه الأدلـة، سـواء مع أم ضد، سوف تخضع لنفس الشكوك في كونها ملفقة) لا يمكن إلا أن تشير القضية إلــى الأدلةِ الداخليةِ التي يحملها الشيءُ نفسهُ؛ وهذا يُعطي افتراضاً قوياً جداً في كونه تلفيقــاً. فالأدلة الداخلية لنظرية أو مبدأ الخلاص تَستَنِدُ إلى أساس العدالة المالية وليسـت العدالـةُ الأخلاقيةُ.

إذا كنتُ مديناً لشخصٍ مبلغاً من المالِ، ولا يمكنُني دفعـه لـه، وهّـدَدَ بوضـعي فـي السـجن، يمكنُ لشـخصٍ آخـرٍ أّن يأخُـذَ الـدين علـى نفسـهِ، ويـدفعُه بالنسـبة لـي. ولكـن إذا أُرتكبـت جريمةٌ، يتم تغيير كل ظرف مـن الظـروف. إن العدالـةَ الأخلاقيـة لا يُمكـن أن تأخـذ بأدانـة

الأبرياءِ ومحاسبتهم حتى لو كان الابرياءُ يقدمونَ أنفسهم لذلكَ. إن افتراض قيامَ العدالـةِ بذلك، هو تدميرٌ لمبدأ وجودِها. ومن ثم لم تعد عدلاً. إنه انتقامٌ عشوائيٌ.

وسيظهرُ هذا التفكيرُ الفرديُ أن مبدأ الفداءِ يقوم على فكرةٍ ماليـةٍ مقابلـةٍ لفكـرةِ دَيـنٍ قـد يسددهُ شخصٌ آخر؛ وبما أنَ هذهِ الفكـرةَ الماليـةَ تتوافـقُ مـرة أخـرى مـع نظـام الاسـترداد الثاني، الذي يَتمُ الحصولُ عليه من خلالِ وسائلِ جمع المالِ الـتي تعطـى للكنيسـةِ بغـرضِ العفوِ، والاحتمـال هـو أن نفـس الاشـخاص الـذين لفقـوا واحـداً قـد لفقـوا الآخـر مـن تلـك النظريات. وأنه، في الحقيقةِ، ليس هناكَ شيءٌ يسمى بالخلاص. أنه خرافة. والانسان يقف في منزلة من خالقهِ كأي وقت مضى منذ وجـودهِ. دعـه يصـدق هـذا، وانـه سـيعيش أكـثر اتساقا وخلقاً، من أي نظام آخر.

اما أن ينظر إلى نفسه كخارجٍ عن القانون، منبوذٍ، او متسولٍ، كما انه قد القيَ من على تـلٍ، على بعدٍ هائلٍ من خالقهِ، ويجبُ ان يَتَخِذَ الزَحفَ نهجـاً، متوسـلاً إلـى الكائنـاتِ الوسـيطةِ، فأنه سينتج اما تجاهلاً مزدرياً لكلَ شيءٍ تحت اسم الدين، أو يصبحَ غير مبالٍ، أو يتحـول الى ما يسمونه ورعاً. في هذه الحالة الأخيرة، يَستَهلِكُ حيـاتَهُ فـي الحـزنِ، أو التظـاهرِ بـه. صلاتُه هي اللوم. تواضعُه هو عدم الامتنان. ويدعو نفسـه دودةً، والأرض الخصـبة تلاً. انـه يحتقر خيرَ هديةً مـن الـربِ الـى الإنسـان، هديـة العقـلِ. وبعـد أن سـعى إلـى إجبـارِ نفسـهِ للإيمان النظام الذي يثور عقلهُ ضِدَهُ ، فيسميه بالعقل البشري باطلاً، وكأن الرجل يمكـنُ أن يعطيَ لنفسهِ عقلاً.

ومعَ ذلكَ، مع كُـلِ هـذا المظهـرِ الغريـبِ مـن التواضـع، وهـذا الازدراء للعقـل البشـري، فـانه يخوضُ في افتراضاتٍ جريئةٍ. انه يجدُ خطأً في كلِ شيءٍ. أنانيته غير راضـيةٍ أبـداً. يأخُـذُ على عاتِقِهِ توجيهَ الربِ الى مـا يجـب القيـام بـه، حـتى فـي حُكـمِ الكـون. يُصـليَ بطريقـةٍ ديكتاتوريةٍ. عندما يكون الجوُ مُشمساً فإنه يصلي للمطر، وعندما يكونُ مُمطراً فأنه يصلي

من اجل الشمس. ويتبع نفس الفكرة في كل ما يصلي لأجلهِ. في كل مدى صلاتهِ، لكن محاولةَ جعل الربِ تغييرَ رأيهِ، والتصرف خلافاً للطريقة التي يتصرف بها؛ كما لو انه يقول له انك لا تَعلمُ كما اعلمُ انا.

الفصل التاسع: عن ما يحتويه الوحي الحق

ولكن البعض ربما يقول - أليس لدينا أي كلمةٍ من الرب – الا يوجد وحـيٌ؟ أنـا أجيـب نعـم. هناكَ كلمة من الرب. هناك وحيٌ. كلمةُ الربِ هي الخلق الذي نراهُ؛ هذه الكلمة التي لا يمكـن لاختراع بشري تزويرها أو تغييرها، أن الربَ يتكلمُ عالمياً للإنسانِ.

فاللغة البشريةُ محليةٌ وقابلةٌ للتغييرِ، وبالتالي فهي غير قابلـةٍ للأسـتخدامِ كوسـيلةٍ لطـرحِ المعلوماتِ العالميةِ الغير قابلة للتغيير. الفكرةُ القائلةُ بأنَ الربَ أرسلَ يسـوعَ المسـيحَ لنشـرِ -كما يقولون- البشرى السعيدة لجميع الأممِ، من نهاية الأرض الى نهايـة أُخـرى، لا تَتَفِقُ إلا مع جهلِ أولئكَ الذينَ لا يعرفونَ شيئاً عن مدى العالم، و الذينَ يعتقدونَ، كما يعتقـدُ هـؤلاءُ منقذي العالم، و استمروا في الاعتقاد لعدة قـرون، (فـي تنـاقضٍ مـع اكتشـافات الفلاسـفة وتجارب الملاحين) أن الأرضَ كانت مسطحةً كالخندق. وأن الرجل قد يسير ليصل نهايتها.

ولكن كيفَ يُمكنُ ليسوعَ المسيحَ جعلَ أيَ شيءٍ معروفاً لجميع الأممِ؟ كان بأمكـانه التكلـم بلغة واحدةٍ، وكانت هي العبرية. وهناكَ في العالم عدةَ مئاتٍ من اللغـات. ونـادراً مـا تتكلـم دولتينِ بنفس اللغةِ، أو يفهمَ كل منهما الآخر؛ أما بالنسبةِ للترجمةِ، فكلُ رجـلٍ يعـرفُ شـيئاً من اللغاتِ، يعلَمُ أنهُ مِنَ المستحيلِ الترجمة من لغةٍ الى اخرى دون فقـدانِ جـزءٍ كـبيرٍ مـن الأصلِ، ولكن فقدانُ المعنى في كثيرٍ من الأحيانِ.

وإلى جانبِ كلِ ذلك، فن الطباعةِ كان مجهولاً تماماً في الـوقتِ الـذي عـاشَ فيـهِ المسـيح. ومن الضروري دائماً توفرُ الوسائلِ المناسبةِ لإنجازِ هذهِ الغايةِ، والا فلا يمكن تحقيقها. هذا يبين الفرقَ بينَ القوةِ و الحكمةِ المحدودةِ و اللا محدودةِ. فكـثيراً مـا يفشـلُ الأنسـانُ فـي تحقيق غايتهِ، بسبب نقصٍ طبيعيٍ في القوة اللازمةِ لتحقيـقِ هـذا الغـرض؛ والحاجـة الـى الحكمة لأستخدام هذه القـوةِ بالشـكل الصـحيحِ. ولكـن مـن المسـتحيل أن تفشـلَ القـوة و السلطة اللامحدودةِ كمـا يفشـلُ الانسـان. فالوسـائل الـتي تسـتخدمُها هـي دائمـاً مسـاويةٌ

للغاية: ولكن اللغةَ البشريةَ، وعلى وجهِ الخصوصِ عدَمَ وجـودِ لغـةٍ عالميـةٍ قـادرةٍ علـى ان تُستخَدَم كوسيلة عالميةٍ للمعلومات غير المتغيرة والموحدةِ؛ وبالتالي فهي ليست الوسيلةَ التي يستخدمُها الربُ في إظهار نفسه عالمياً للإنسان.

فقط في الخلق يمكن لجميع أفكارنا ومفاهيمنا لكلمة الالـه أن تتحـد. يتحـدث الخلـق لغـةً عالميةً، مستقلةً عن خطاب الإنسـانِ أو لغـةِ الإنسـان. وهـو الأصـلُ الموجـودُ مـن أي وقـتٍ مضى، والتي يمكن لكل رجل قراءتهُ. لا يمكن ان يزور. و لا أن يزيف، يضيعُ. او يُغير.

و لا يمكن قَمعُه. فهو لا يعتمِدُ على إرادة الإنسان سواء نُشرَه أم لم يَنشُره؛ فإنه ينشُرُ نفسه من طرف الأرض إلى الآخر. وهو يُبَشرُ جميع الأمـم و جميـع العـالمين؛ وهكـذا كلمـة الـرب تكشف للأنسان ما يحتاجُ معرفَتَهُ عنه.

هل نريد أن نتأمل في قدرته؟ فنرى ضخامةَ الخلقِ. هل نريد أن نتأمل في حِكمَتِهِ؟ فنحن نرى ذلك في النظام الغير القابل للتغيير الذي لا يمكننا اسـتيعابُه. هـل نريـد أن نتأمـل فـي ذهنه؟ فنراه في الخيرِ الذي يملأُ الأرضَ. هل نريد أن نتأمل في رحمتهِ؟ فنـرى عـدَمَ منعِـهِ هذا الخير حتى عن غير الشكورين.

في النهاية، هل نريد أن نعرف مـا هـو الـرب؟ علينـا ان لا نَبحَـثَ فـي الكتـاب الـذي يُسـمى المُقدس، ألذي يمكنُ لأي انسانٍ كتابتَهُ، بل في الكتاب الذي يسمى الخلق.

الفصل العاشر: عن الرب وسماته في الكتاب المقدس

الفكرةُ الوحيدةُ التي يمكنُ أن يربطها الإنسانُ باسمِ الرب، هي السببُ الأولُ، سببَ كُل شيء. من الصعبِ على نحو غير مفهومٍ بالنسبة للأنسانِ تصور ما هو السَبُبُ الأولُ، ولكنهُ وصولهُ للايمان به، اقل صعوبة من إنكاره بأضعاف مضاعفة. من الصعبِ وصفُ كونِ الفضاءِ بلا نهاية؛ ولكن من الأصعب تصور نهايةٍ له. فمن الصعب لإنسانٍ تصورُ المدةِ الأبديةِ لما نسميهِ الوقتُ؛ ولكن من المستحيل تصورُ وقت لا يكون فيهِ وقتٌ.

في مثل التفكير المنطقي، كل ما نملك يحمل في طياته أدلةً داخليةً بأنه لم يخلقُ نَفسَهُ. كل رجل هو دليل على نفسهِ، بأنه لم يَخلُق نَفسَهُ. لا يُمكنُ لأبيه أن يَخلُقَ نَفَسَهُ، ولا لجده، ولا لأي من عرقه. لا يُمكنُ لأي شجرةٍ أو نباتٍ أو حيوانٍ خلقَ نفسها؛ وهو الاقتناعُ الناجمُ عن هذه الأدلةِ، التي تحملنا، كما كانت، بحكم الضرورةِ، إلى الاعتقادِ بوجودِ مسببٍ أولٍ موجودٍ أصلاً، ذو طبيعةٍ مختلفةٍ تماماً عن أي وجودٍ ماديٍ نعرفهُ، وبقوتهِ كُل شيءٍ موجودٍ؛ وهذا المسببُ الأول، يسميه الانسان الرب.

انها فقط من خلال ممارسة العقل، يمكن للأنسانِ اكتشافُ الرب. فعند سلب هذا العقل، لن يكون قادراً على فِهمِ أي شيءٍ. وفي هذهِ الحالةِ تكونُ قراءةُ الكتابِ الذي يسمى الكتابَ المقدسَ إلى حصانٍ كقراءتهِ لأنسانٍ. فكيف يتظاهر هؤلاء الناس برفض العقل؟

تقريبا الأجزاء الوحيدة في الكتاب المسمى الكتاب المقدس، التي تنقل لنا أي فكرة عن الرب، هي بعض الفصول في العمل، والمزمور التاسع عشر؛ أنا لا أذكر أي شيء آخر. هذه الأجزاء هي تركيباتٌ ربوبيةٌ حقيقيةٌ؛ لأنهم يتناولون الإلهَ من خلال أعمالِه. يأخذونَ كتابَ الخلقِ كلمة الربِ. فإنها لا تشير إلى أي كتاب آخر؛ وجميع الاستنتاجاتِ التي يستخلصونَها مستمدةٌ من ذلك المُجلد.

وأدرجُ في هذا المكان المزمور التاسع عشر، كما أعيدت صياغته في الآية الإنجليزية الـتي كتبها أديسون. لا أتذكرُ النثرَ، وليس لدي فرصةٌ لرؤيتهِ من حيثُ اكتب:

يوم إلى يوم يذيع كلاما، وليل إلى ليل يبدي علما

لا قول ولا كلام. لا يسمع صوتهم

في كل الأرض خرج منطقهم، وإلى أقصى المسكونة كلماتهم. جعل للشمس مسكنا فيها

وهي مثل العروس الخارج من حجلته. يبتهج مثل الجبار للسباق في الطريق

من أقصى السماوات خروجها، ومدارها إلى أقاصيها، ولا شيء يختفي من حرها

ناموس الرب كامل يرد النفس. شهادات الرب صادقة تصير الجاهل حكيما

وصايا الرب مستقيمة تفرح القلب. أمر الرب طاهر ينير العينين

خوف الرب نقي ثابت إلى الأبد. أحكام الرب حق عادلة كلها

أشهى من الذهب والإبريز الكثير، وأحلى من العسل وقطر الشهاد

أيضا عبدك يحذر بها ، وفي حفظها ثواب عظيم

السهوات من يشعر بها ؟ من الخطايا المستترة أبرئني

أيضا من المتكبرين احفظ عبدك فلا يتسلطوا علـي. حينئـذ أكـون كـاملا وأتـبرأ مـن ذنـب عظيم

لتكن أقوال فمي وفكر قلبي مرضية أمامك يارب، صخرتي ووليي

ما هو أكثر ما يريد الأنسانُ أن يعرفَهُ، من أن اليـد أو القـوة الـتي جَعَلَـت هـذه الأمـور هـي الهيةٌ قديرةٌ؟ دعـه يـؤمن بهـذا، بقوتهـا فمـن المسـتحيل ان يرفـض إذا كـان يسـمح لعقلـه بالعمل، وحكمةٌ من الحياة الأخلاقية سوف تتبع بالطبع.

الإيحاءات في سفر العمل لها نفسُ الاتجاه مع هذا المزمور. أي استنتاجُ أو إثبات الحقيقـة التي من شأنها أن تكونَ غيرَ معروفةٍ خلافً لذلكَ، من الحقائقِ المعروفة بالفعل.

لا أذكر ما يكفي من المقاطع من سفر العمل لإدراجها بشـكل صـحيح. لكنـي اتـذكرُ واحـداً ينطبق على هذا الموضوع. "الا يمكنك مـن خلال البحـث معرفـة الـرب، ألا يُمكنُـكَ معرفـةُ كمال الرب"

أنا لا أعرف كيف أشارت الطابعات لهذا المقطع، لأننـي لا احتفـظُ بالكتـاب المقـدسِ. ولكنـه يحتوي سؤالينِ متميزينِ بإجاباتٍ متميزةٍ.

أولاً، الا يُمكنُكَ معرفة الرب من خلالِ البحثِ؟ نعم فعلاً. لأنـه، فـي المقـامِ الأولِ، أنـا أعلـم أنني لم اخلقُ نفسي، ولكنني موجودٌ؛ ومن خلال البحث في طبيعة أمورٍ أُخرى، أَجِـدُ أن لا شيءَ آخرَ يُمكنُ أن يَخلُقَ نَفسَهُ. ومع ذلـك توجـد ملاييـنٌ مـن الأشـياءِ الأخـرى؛ لـذلك، أنـا أعلم، من خلال النتيجةِ الإيجابيةِ الناتجة عن هذا البحث، أن هناكَ قوةٌ متفوقـةٌ علـى كّـل تِلكَ الأشياءِ، وأن القدرةَ هي الرب.

ثانياً، ألا يُمكنُكَ معرفةُ كمال الرب؟ ليس فقط لأن القدرةَ والحكمةَ التي تتجلى في هيكلِ الخلقِ الذي هو بالنسبةِ لي غير مفهومٍ؛ ولكن لأنه حتى هذا الظهور، على عظمتِهِ، ربما هـو عرضٌ صغيرٌ من تلك القوةِ والحكمةِ، التي من خلالِها الملايين من عوالم أخرى، بالنسبة لي غيرُ مرئيةٍ، قد تم إنشاؤها ولا تزالُ موجودةً.

ومن الواضحِ أن هذين السؤالينِ قد طُرِحا على عقل الشخص الذي كـان مـن المفـترض أن يعالجهما؛ وبأنه فقط من خلال قبول السؤالِ الأولِ الذي يجب الإجابة عليه بالإيجاب، فإن

الثاني يمكن أن يتبعهُ. و الا فمن غير الضروريِ، بل ومن العبث، أن نطرحَ سؤالاً ثانياً، أصعبَ من الأول إذا كان قد تم الرد على الأول سلباً. السؤالينِ لهما غرضينِ مختلفينِ. الأولُ يشيرُ إلى وجودِ الرب، والثاني إلى صفاتِه. العقل يمكنه اكتشافُ واحد، لكنه يفشل بلا حدود في اكتشاف الآخر.

أنا لا أتذكر حتى مقطعاً واحداً في كل الكتابات المنسوبةِ إلى الرجالِ الذين يُدعَونَ بالرسل، ينقُل أيَ فكرةٍ عن ما هو الرب. هذه الكتاباتُ مثيرةٌ للجدل أساساً؛ و كآبة الموضوع، أي موت الرجل بعذاب على الصليب، هو أكثر ملاءمةٍ لعبقريةٍ قاتمةٍ من راهبٍ في زنزانةٍ، فمن غير المستحيل أنها قد كُتِبَتْ هناك اساساً، بدلاً من كتابتِها من قبل إنسانٍ يتنفسُ الهواء الطلق.

الفصل الحادي عشر: عن اللاهوت المسيحي و اللاهوت الحقيقي

أما بالنسبةِ للنظامِ المسيحيِ للإيمان، فإنه يَبدو لي كنوعٍ من الإلحاد، نوعٍ من إنكارٍ ديني للرب. مبنيٍ على الايمانِ برجلٍ وليس بربٍ. وهو مركبٌ يتكونُ أساسا من رجل مع القليل من الربوبية، وهو قريبٌ من الإلحاد كما هوَ الشفقُ مِنَ الظلامِ. فهو يَدخُلُ بينَ الإنسانِ وخالقهِ جسمٌ مبهمٌ، ما يطلقُ عليه المُخلص، كما يدخل القمرُ بينَ الأرضِ والشمس، ويَنتُجُ عن طريق هذا كسوفٌ دينيٌ أو كسوفٌ لا ديني، واضعاً العقلَ كلَهُ في الظلِ.

وكان تأثيرَ هذا الغموض هو تحول كل شيء رأسا على عقبٌ، وتمثيله في الاتجاه المعاكس؛ ومن بين الثورات التي انتجها، كانت ثورةٌ في اللاهوت.

ان ما يسمى الآن الفلسفة الطبيعيةَ، والتي تشملُ دائرةَ العلمِ كُلها، التي يحتلُ فيها علمُ الفلكِ المكان الرئيسي، هو دراسة أعمالُ الربِ، وقوةُ وحكمةُ الالهِ في أعمالِه، وهو اللاهوت الحقيقي.

أما اللاهوت الذي يُدرَسُ الآن في مكانهِ فهو دراسةُ الآراءِ الإنسانيةِ والخيالاتِ البشريةِ عن الرب. ليست دراسةَ الرب نفسهُ في الأعمال التي قام بها، بل في الأعمال أو الكتابات التي صنَعَها الإنسان؛ وهي ليست من بين أقل ما يسيءُ إليه النظامُ المسيحيُ للعالم، وأنه قد تخلى عن نظامِ اللاهوتِ الأصليِ والجميل، و قام بالتضييق والوعظِ، من اجل افساحِ المجالِ أمام الخرافات .

سِفرُ العمل و المزمور التاسع عشر، الذي تَعتَرِفُ الكنيسةُ بكونهِ أكثرَ قُدماً من الترتيبِ الزمنيِ الذي وضع له في الكتابِ المسمى بالمقدسِ، هي رواسبٌ مطابقةٌ للنظام الأصلي من اللاهوت. إن الأدلة الداخليةِ لتلكَ الرواياتِ تُثبِتُ وجودَ دليلٍ على أن دراسةً وتأمل

أعمال الخلقِ، وقوة وحكمة الالهِ كُشُفتْ وتَتَجلى في تلكَ الأعمال، جَعَلَتْ جُزءً كبيراً من التفاني الديني في الاوقات التي كُتِبَت بها.

وكانت هذهِ الدراسة التعبدية والتفكير التي أدت إلى اكتشافِ المبادئِ التي تسمى الآن العلوم؛ إن جميع الفنون التي تساهم في راحة حياة الإنسان مدينةٌ لاكتشافِ هذهِ المبادئِ. كل فنٍ رئيسيٍ لديهِ بعض الأرتباط بعلمٍ اصليٍ، على الرغم من أنَ الشخصَ الذي يؤدي العملَ نادراً ما يُدرِكُ هذا الأرتباط.

إنه احتيالٌ في النظامِ المسيحيِ ان يُسَميَ العُلومُ بالإختراعاتِ البشريةِ؛ إن تطبيقها فقط هو بشريٌ. لكلِ علمٍ أساسه من نظمٍ و مبادئٍ ثابتةٍ لا تتغير كتلكَ التي تُنَظِمُ و تَحكمُ الكونَ. الانسانُ لا يمكنُهُ خَلقُ المبادئ، يمكنُهُ فقط اكتشافُها.

على سبيل المثال: كلُ شخصٍ يَنظُرُ إلى التقويمِ الفلكيِ يَرَى موعِدَ حدوثِ الكسوف، ويرى أيضاً انه لا يفشلُ في الحدوث حينها. وهذا يدلُ على إن الانسانَ على علمٍ بالقوانين التي تتحركُ بها الأجسامُ السماويةُ. ولكن سيكونُ شيئاً أسوأ من الجهل، قولُ اي كنيسةٍ على الأرض أن تلكَ القوانينَ هي اختراع بشري.

كما سيكونُ من الجهلِ، أو ما هوَ أسوأُ مِن ذَلَكَ، القولُ بأن المبادئَ العلميةَ، التي من خلالِها استطاعَ الانسانُ حسابَ موعد حدوثِ الكسوف، هي اختراعُ الإنسان. فليس بامكان الانسانِ اختراعُ أيَ شيءٍ أبديٍ وغيرَ قابلٍ للتغييرِ. والمبادئُ العلميةُ التي يستخدِمُها لهذا الغرض يجب، بل هي بالضرورة، أبديةٌ و غيرَ قابلةٍ للتغيير مثلَ القوانين التي تتحرَكُ بها الأجسامُ السماوية، و ألا فلا يمكنُ أستخدامُها للتأكد من الوقتِ و الطريقةِ، التي يحدث بها الكسوف.

إن المبادئَ العلميةَ التي يستخدِمُها الإنسانُ للحصولِ علـى المعرفـةِ المسـبقةِ للكسـوفِ، أو أي شيءٍ آخرَ يتَعلقُ بحركةِ الأجسامِ السماويةِ، تَرِدُ أساساً في ذلـك الجـزءِ مـن العلـمِ الـذي يُسمى عِلمَ المثلثاتِ، أو خصائصَ المثلث، فعنـد تطبيقِهـا علـى دراسـةِ الهيئـاتِ السـماويةِ، يُسمى حينئذً علمَ الفلـكِ. عِنـدَ تطبيقهـا لتـوجيهِ مسـارِ السـفنِ فـي المحيـطِ، يُسَمى ذلـك الملاحة؛ وعند تطبيقِها على بناءِ الاشكالِ، تسمى الهندسة؛ عند تطبيقِها على بناء الصروح، تسمى الهندسةَ المعماريةَ؛ عند تطبيقِها على قياسِ أي جزءٍ من سطحِ الأرض، يسـمى ذلـك مسحاً أرضياً. في النهايـة، هـو روحُ العلـمِ. إنهـا حقيقـةٌ أبديـةٌ: إنهـا تحتـوي علـى التمثيـلِ الرياضيِ الذي يتحدثُ بـه الإنسـان، ومـدى اسـتخداماتهِ غيـر معـروفٍ. ويمكـنُ القـولَ، أن الرَجُلَ يُمكنُ أن يَصنَعَ أو يَرسُمَ مثلثاً، وبالتالي المثلثُ هو اختراعٌ بشريٌ.

ولكن المثلثَ، عند رَسمِهِ، ليس سِوى صورةِ المبدأ: إنه ترسيمٌ للعيـنِ، ومـن ثُـمَ إلـى العقـلِ، لمبدإٍ من شأنِهِ أن يكونَ غير محسوسٍ. المُثَلَثُ لا يخلقُ المبدأ، شأنه شأن شمعةٍ تؤخذُ فـي غرفةٍ مظلمةٍ، فلا تخلق الشمعةُ الكراسيَ والطاولاتَ التي كانت قبلَ ذلكَ غيرَ مرئيةٍ. جميعُ خصائصِ المثلثِ موجودة بشكلٍ مستقلٍ عن الشكل، وكانت موجودةً قبلَ رسـمِ اي مثلـثٍ أو تفكير بشريٍ به. لم يكن للأنسانِ أي يد في تشكيلِ تلك الخواصِ أو المبـادئِ، و ليـس بـه يد في صنع القوانين التي تتحرك بها الأجسام السماوية؛ وبالتالي يجب ان يكون لـه نفـس الأصل الإلهي كما للآخر.

بنفس الطريقةِ، يمكنُ للرجلِ أن يصـنَعَ مثلثـاً، لـذلك أيضـاً، يسـتطيع صُـنعَ أداة ميكانيكيـة تسمى ذراعً. ولكن المبدأ الذي يعمل به الذراع، هو شيء مختلـف عـن الاداة، وهـو موجـودٌ ان لم توجد الاداةُ أصلاً؛ فإنه يتصل بالاداةِ بعدَ أن تُصـنَعَ؛ وبالتـالي فـإن الاداة لا يُمكـنُ أن تعمَلَ بخلاف المبدأ؛ لا يمكنُ لجميعِ الجهودِ البشريةِ جعلها تَتَصرفُ خلافاً لذلك.

لا يمكن للانسان صّنعَ المبادئِ، لكن من اين له القدرةُ على تطبيقِها، ليسَ فقطْ علـى مـا هـو على الأرضِ، بل للتأكدِ من حركةِ الهيئاتِ السماويةِ البعيدةِ جداً عنـهُ؟ أسـأل مـن أيـنَ، هـل يُمكنُ له أن يَكتسِبَ تلك المعرفة، الا من خلالِ دراسةِ اللاهوتِ الحقيقي؟ إن هيكلَ الكـونَ هو الذي علم الإنسان هذه المعرفة. هذا الهيكل هو معرضٌ قائمٌ منذُ أي وقتٍ مضى مكـونٌ من المبادئِ التي تم تأسيسُ كُلِ جزءٍ من العلومِ الرياضيةِ عليها.

ذريةُ هذا العلمِ هو الميكانيكا فهي ليسـت سِـوى مبـادئ العلـم بعـد أن تـم تطبيُقها عمليـاً. الرجل الذي يتعاملُ مع أجزاءٍ عديدةٍ من مطحنةٍ يستخدمُ نفسَ المبادئ العلميةِ التي بُنِـيَ عليها الكون، ولكنه لا يصنعُ تلكَ المادةَ الخفيةَ التي تتصـلُ مـن خلالِها جميـعُ أجـزاء الآلـة الهائلة من الكون وتؤثرُ علـى بعضِـها البعـض، وتَعمَـلُ فـي انسـجامٍ متحـركٍ معـاً، بـدون أي اتصالٍ واضحٍ، والتي أعطاها الانسانُ إسـم الجاذبيـة، والتنـافر، ويصـفها الانسـان بتواضـع مشبهاً اياها بالتروس. في عالم الانسان المصغر يجـب أن تتلامـسَ جميـعُ الاجـزاءِ لتعمـلَ معـاً. ولكـن هـل يمكـنُ أن يكتَسِـبَ معرفـة تلـك المـادة، و يكـونَ قـادراً علـى تطبيقِها فـي الممارساتِ العمليةِ، فنقول حينها انه تم اكتشافُ كتابٍ آخراً من كلمة الرب الأساسية.

إذا كان للرجل أن يُغيرَ خَصـائِصَ الـذراعِ، فيُمكنُـهُ ايضـاً تغييـرُ خصـائصِ المُثلـثِ: الـذراع (الميزان القباني على سبيل المثال)يُشكلُ مثلثاً عِندَ الحركـةِ. فـالخطوطُ المـارةُ مـن نقطـةِ الارتكازِ إلى نهايةِ الذراعِ، و منها الى وتر القوسِ، تشكل جوانب المُثلث.

الذراع الاخر للميزان يمثـل مثلثـاً أيضـا. والجانبـان المقـابلانِ لهـذينِ المثلـثينِ محسـوبانِ علمياً، و مقاسان هندسياً وكذلك الجيب والممـاس و الزوايـا وقياسـاتها لهـا نفـس النسـب لكل منها الأخرى؛ كذلك الأوزان المختلفة الـتي تـوازن بعضـها البعـض علـى الـذراع، تاركـةً وزن الذراع خارج الحسبان.

ويمكن أيضا أن يُقالَ، أن الرجلَ بإمكانهِ صُنعَ عجلةٍ و محورٍ. أنه يمكـن وضـع عجلاتٍ مـن مختلف الأحجام معاً، وإنتاج مطحنةٍ. لا تزال القضـيةُ تعـودُ إلـى نفـس النقطـةِ، أي أنـه لـم يخلُق المبدأ الذي يُعطيَ العجلات تلكَ القوى. هذا المبدأ لا يمكن تغييـرهُ كمـا فـي الحـالات السابقةِ، أو بالأحرى هـو نفـس المبـدأ تحـت مظهـرٍ مختلـفٍ للعيـنِ. ومـن دراسـةِ اللاهـوتِ الحقيقي إستُمِدت كل العلومُ. ومن هذه المعرفةِ نشأتْ جميعُ الفنونِ.

المحاضرُ القديرُ، من خلالِ عرضهِ لمبادئِ العلمِ في هيكل الكونِ، دعا الإنسانَ إلـى الدراسـة والتقليدِ. وكأنه قد قال لسكان هـذا العـالم "لقـد خلقـت للأنسـان الأرضَ ليسـكنَ، و جعلـتُ نجـومَ السـماءِ ظـاهرةً لتعليمِـهِ العلِـمَ و الفـنَ، ويُمكنُـه الآن تـوفيرَ راحتـهِ الخاصـةِ، وتعلـمِ العطفِ تجاهَ الأخرينَ"

فما نفعها اذاً ان لم تكن لتعليمِ الانسانِ شيئاً، فعيئهُ تُبصـرُ قـوةَ الـرب فـي مسـافة لا يمكـن أستيعابُها، فما فائدةُ العوالمِ الهائلةِ في الفضاءِ؟ و ما جدوى جعلِ هذهِ الكثافةِ من العـوالِمِ مرئيةٍ للإنسانِ؟ ما هو دخلُ الانسانِ بحزمةِ نجومِ الثريا، او أوريون، او سيريوس، بالنجم الشمالي، بالكواكبِ التي يُطلَقُ عليها زُحلْ، المشتري، المَريخ، الزُهرة، وعطـارِد، إذا لـم يكـن هناكَ استخداماتٌ لمتابعتهم بكونهم مرئية؟ لأعطيَت رؤية أقّل للإنسـانِ، إن كـان لا فائـدة منها.

عندما يتأملُ الإنسانُ مـا يُسـميهِ السـماءَ المُرَصَـعَةَ بـالنجومِ، كمـا يُـذكَرُ فـي كتـب العلـومِ، يَكتَشِفُ فوائدَ رؤيتهِ لها، أو ميزة رؤيته القوية. عندما ينظرُ في الموضوعِ في ضوءِ ذلـكَ، يرى دافعاً إضافياً للقولِ، أن شيئاً لم يُخلقْ عبثاً؛ وان قُدرَتَهُ على الرؤيةِ قد عَلّمَتهُ شيئاً.

الفصل الثاني عشر: آثار المسيحية على التعليم و الإصلاحات المقترحة

وبما أَن النِظامَ المسيحيَ للإيمانِ صنع ثورةً في اللاهوت، فإنه صنع أيضاً ثـورةً فـي حالـة التعلم. ما يسمى الآن بالتعلم، لم يكن تعلماً أصلاً. التعلـم لا يتكـونُ، كما جعلتـهُ المـدارسُ الآن، مِن معرفةِ اللغات، ولكن بمعرفةِ الأشياءِ التي تعطيها اللغةُ اسماءً.

كان الإغريقُ من الناسِ المتعلمينَ، ولكن تعلمَهُم لم يَكـن متعلقـاً باللغـة اليونانيـةِ، وينطبـق الشـيء نفسـه علـى الرومـانيون الـذين يتحـدثون اللاتينيـة، أو الفرنسـيون المتحـدثين بالفرنسية، أو الإنجليز الناطقين بالانجليزية.

من ما نعرفه عن الإغريق، فإنه لا يبدو انهم قد درسوا لغةً غير لغتهم، وكان هـذا سـببا فـي اتاحة المزيد من الوقتِ لهم لتكريـسَ أنفُسِـهمْ لدراسـاتٍ أفضـلَ. مـدارسُ اليونـانيين هـي مـدارس العلـوم والفلسـفة، وليسـت مـدارسَ لغـاتٍ؛ التعلـمُ يتكـونُ مـن معرفـةِ العلـومِ و الفلسفةِ.

تقريبا كُلُ التعلمُ العلمـيُ الموجـودُ الآن، جـاء إلينـا مـن الإغريـق، أو النـاس الـذين تحـدثوا الاغريقية. لذلك أصبح من الضروري لشعوب الدول الأخـرى الـتي تتكلـمُ بلغـةٍ مختلفـةٍ أن يتعلم بعضهم اللغةَ الاغريقيةَ لكـي يتعلمـوا مـن الاغريـقِ عـن طريـقِ ترجمـةِ كتـب العلـومِ والفلسفةِ الاغريقةِ الى اللغة الأم لكلِ أمة.

وبالتالي فإن دراسةَ اللغةَ الاغريقةَ (وبنفس الطريقة للاتينية) لم يكن سوى عملاً شاقاً من قبل مختصٍ لغـوي؛ واللغـة الـتي تـم الحصـول عليهـا، ليسـت سـوى الوسـيلة المسـتخدمة للحصول على علمِ الاغريق. أنها لم تُقدِمْ أي جزءٍ من التعلمِ نفسهِ. وكان من المحتمـلِ جِـداً إن الأشخاصَ الذينَ قد دَرَسوا اليونانيةَ بما يكفي لترجمةِ تلكَ الأعمالِ، على سـبيل المثـال كتاب عناصر إقليدس، لم يفهموا أياً من الأعمال الواردة.

وبما أنه لا يوجدُ الآن شيءٌ جديدٌ يمكنُ تَعَلُمَهُ مِنَ اللغاتِ الميتةِ، لأن جميع الكتب المفيـدة قد تمت ترجمتها بالفعل، وأصبحت تلك اللغاتُ غيرَ مجديةٍ، والوقتُ الذي أُنفِقَ في تدريسها وفي تعليمها يضيع.

وعلى الرغمِ من أن دراسة اللغاتِ قد تساهمُ في تقدم المعرفة وتواصلها (لكن لا علاقة لها بصنع المعرفة) أنه يُمكنُ العثور على معارفٍ جديدة باللغاتِ الحيـةِ فقط؛ ومن المؤكد بشكل عام، ان تَعَلُمَ الشبابِ أكثر من لغةٍ حية في سنةٍ واحدةٍ، افضلُ من تعلمِ لُغَةٍ ميتةٍ في سبع؛ والتي نادراً ما يَعرِفُ المُعلم الكثيرَ منها بنفسهِ.

صعوبةُ تعلم اللغات الميتة لا تنشأ من أي تفوقٍ في اللغات نفسها، ولكن في كونها ميتةً، والنطق بها قد فُقدَ تماماً. سيكونُ الشيءُ نَفْسُهُ مع أي لغةٍ أُخرى عندما تصبح ميتةً. أفضلُ لغويٍ اغريقيٍ موجودٍ الآن لا يفهم الاغريقية، ونفس الشيء ينطبق على اللاتينية. وفيما يتعلق بالنطق والتعبير، لذلك من المفيد لحالة التعلم الغاء دراسة اللغات الميتة، وجعلُ التعلمِ يتكونُ، كما كان أصلا، في المعرفةِ العلميةِ.

العذر الذي يتم في بعض الأحيان لمواصلةِ تعليمِ اللغاتِ الميتةِ هو أنه يتم تدريسُها في الوقت الذي يكونُ الطفل فيه غيرَ قادرٍ على ممارسةِ أي فعاليةٍ ذهنيةٍ أخرى. ولكن هذا أمرٌ خاطئٌ تماماً. العقلُ البشريُ لديهِ ميولٌ طبيعيٌ للمعرفةِ العلميةِ، والأشياءُالمرتبطةُ به.

أول تسلية مفضلة للطفل، حتى قبل أن يبدأ باللعب، هو تقليدُ أعمال الإنسان. أنه يبني بيوتاً من البطاقات و العصي. و يتنقل في المحيط الصغير بقارب من الورق، أو يبني السدود لتيار المياه، و يصنع شيئاً مما يُطلَقُ عليه مطحنةً. ثم يذهب إلى المدرسةِ، حيث تُقتَلُ عبقريتهُ من قبل دراسة قاحلةٍ للغة ميتةٍ، و يضيع الفيلسوف في لغوي.

ولكن العذر الان لمواصلةِ تعليمِ اللغـاتِ الميتـة، لا يمكـن أن يكـون سـبباً فـي حصـر التعلـم بمجال ضيق ومتواضع من علم اللغة؛ ولذلك يجب التماس سبب آخر. في جميـع البحـوث من هذا النوع، أفضلُ دليلٍ يمكـنُ أن يُنتَـج، هـو الأدلـة الداخليـة للشـيء الـذي يحملـه مـع نفسـه، والأدلـة الـتي تتناسـب مـع الظـروف؛ وكلاهمـا، فـي هـذا حالـة، ليـس مـن الصـعب اكتشافها.

دعونا نضعُ جانباً، كمسألة متميزةِ للنظر، الاهانة التي تعرضث لها العدالةُ الأخلاقية الالهية، من خلال افتراضِ عقابَه للأبرياءِ ليعانوا من اجل المذنبِ، وأيضاً سـوء الخلـق فـي عرضـه مغيراً نفسه متلبساً في شكل رجل، من أجل تقديم عذر لنفسه لعدم تنفيذ حكمه المفترض على آدم. وأقول، هذه الأشياء جانبا كمسألة ذات أهميةٍ خاصةٍ، فمن المؤكـدِ أن مـا يسـمى بالنظام المسيحيِ للإيمان، بما في ذلك في المفاهيم الغريبة عن الخليقة مثـل قصـة حـواء والثعبان و الفكرة البرمائية لإله-إنسان، و الفكرة الجسدية لوفاة إلهٍ، و الفكـرة الأسـطورية لأسرةٍ من الآلهة، والنظام المسيحي الغريب للحساب، بأن الواحدَ يسـاوي ثلاثـةً، و الثلاثـة هي واحدٌ، كلها لا يمكن التوفيق بينها، ليس فقط بالنسبة للهديـة الإلهيـة مـن العقـل، الـتي أعطاهـا الـرب للإنسـان، ولكـن للمعرفـة و الحكمـة الالهيـة الـتي كسـبها الانسـان بمسـاعدة العلوم، ودراسة هيكل الكون الذي صنعه الرب.

وهكـذا، فـإن واضـعي النظـام المسـيحي للإيمـان لا يسـتطيعون إلا ألتنبـؤ بـأن المعرفـة التقدمية المستمرة التي سيكتسبها الإنسان بمساعدة العلم وقوة وحكمة الاله التي تتجلى في بنية الكون ، وفي جميع أعمال الخلق، من شأنه أن يطعـن فـي نظـام إيمـانهم ويشـكك فيه؛ وبالتالي أصبح من الضروري أن يكون الغرض منها هو خفض التعلـم إلـى حجـم أقـل خطورة على مشروعهم، وهذا ما يحدث عن طريق تقييد فكرة التعلم فـي دراسـة اللغـات الميتة.

ولم يرفضوا دراسة العلوم في المدارسَ المسيحيةَ فحسب، بل اضطهدوها أيضا؛ ولم يتـم إحياء هذه الدراسة إلا خلال القرنين الماضيين. حتى وقت متـأخر مـن عـام ١٦١٠، اكتشـف غاليليو، واستخدم التليسكوبات، ومـن خلال تطبيقهـا لمراقبـة حركـات ومظـاهر الأجسـام السماوية، وفر وسائل إضافية للتحقق من الهيكـل الحقيقـي للكـون. فبـدلا مـن احـترامهم لهذه الاكتشافات، حُكمَ عليه بالتخلي عنها، ذلك بأنها هرطقة.

وقبل ذلـك الـوقت أُديـنَ فيرجيليـوس بـأن يحـرق لتأكيـده أن الأرض كـانت كـرة، وقابلـة للسكن في كل جزء من اليابسة؛ ولكن هذه الحقيقة معروفة جدا و لا داعي لقولِها.

إذا كان الايمان بالاخطاء لم يسبب اذى، فإنها لن تجعل معارضَتِها و ازالِتها واجبـاً أخلاقيـاً. لم يكن هناك أي ضررٍ أخلاقيٍ في الإيمان بأن الأرض كـانت مسـطحة مثـل الخنـادق، مثـل الاعتقاد انها كروية.

كما انه لا يوجد أي ضرر أخلاقي في الاعتقاد بأن الخالق لم يخلق عالماً غير هذا، أكثر من الاعتقاد بأنهُ قد خلَقَ الملايين، وأن اللانهاية من الفضاء المليء بالعوالِمِ. ولكن عندما ينمـو نظام الدين على افتراضاتٍ غير صحيحةٍ للخلقِ، و يربُطُ نفسهُ به فإن القضيةَ تأخذُ منحىً مختلفاً تماماً. ومن ثم فإن الأخطاء، التي ليس لها ضرراً أخلاقيـاً، تعـاقبُ بنفـس الطريقـة كما لو كانت. لذلك فإن الحقيقـة، تصـبحُ أساسـيةً، بأدلـة مطابقـة، أو ينكـر بأدلـة مناقضـة، حقيقة الدين نفسه.

ومن وجهة النظر هذه، فإن الواجبَ الأخلاقيَ للإنسان هو الحصولُ على كُـلِ دليـلٍ مُمكـنٍ عن بُنيةِ السماوات، أو أيَ جُزءٍ آخـر مـن الخلـق، ولكـن أنصـار النظـامَ المسـيحي يقومـون بالمعارضة بأستمرار، ليس فقط برفض العلـوم، ولكـن باضـطهاد الأسـاتذة. لـو أن نيـوتن أو

ديكارت قد عاشوا قبل ثلاث أو أربع مئة سنة، وواصلوا دراستهم كما فعلوا فمن الأكثر احتمالاً أنهم لما كانوا ليعيشوا بما فيه الكفاية لإنهاءها.

في أوقات لاحقة وَضَعَت الكنيسةُ كل اللوم على القوطيين والمخربينَ، ولكن انصار النظام المسيحيَ غير راغبين بالأيمان أو الاعتراف به، على الرغم من صِحَتِهِ، أن عَصرَ الجهلِ بدأ مع النظام المسيحي، فقد كان هناك المزيدُ من المعرفةِ في العالمِ قبل تلك الفترةِ، مما كان عليه لقرون عديدةٍ بعد ذلكَ؛ وفيما يتعلقُ بالمعرفةِ الدينيةِ، والنظامَ المسيحيَ، كما ذُكِرَ سابقاً، لم يكنْ سِوى نوعاً آخراً من الأساطير التي نجحت في افساد النظمِ القديمةِ للتوحيد.

وبسبب هذه الفترةِ الطويلةِ من اضطهاد العلم، وليس لأي سبب آخر، علينا الآن أن ننظُرَ إلى الوراء من خلال هوةٍ واسعةٍ من مئاتِ السنينِ إلى شخصياتٍ محترمةٍ نسميها بالقدماء. لو كان تطورُ المعرفةِ قد ذَهَبَ على نحوٍ متناسبٍ مع التوجهاتِ التي كانت موجودةً قبل ذلك، لكانت هذهِ الهوةُ ممتلئةً بشخصياتٍ تتفوقُ في المعرفة. و لبقيَ القدماءُ باحترامٍ في خلفية المشهد.

ولكن النظامَ المسيحيَ اضاع كل ذلك. وإذا اتخذنا موقعنا من بدايةِ القرنِ السادسِ عشر، فإننا ننظرُ إلى الوراء من خلال تلك الهوةِ الطويلةِ، إلى زمنِ القدماءِ، كأننا ننظرُ لصحراءٍ رمليةٍ شاسعةٍ، لا اثر فيها لشجيرةٍ تَعتَرِضُ رؤيةَ التلال الخصبةِ وراءها.

ولكن الحقيقة التي لا تُنكر. بأن الحَدَثَ الذي خَدَمَ أكثَرَ من أي حدثٍ اخرٍ لكسر الرابط الأول في هذه السلسلةِ الطويلةِ من الاستبدادِ و الجهلِ هو ما يعرف باسم الاصلاحِ من قبل لوثر.

منذ ذلك الوقت، على الرغم من أنه لا يبدو أنها كانت أي جُزءٍ من نيةِ لوثر، أو أولئك الـذين يطلقُ عليهم الإصلاحيونَ، بدأت العلومُ في إلحياةِ، وبدأت الحرية في الظهور.

كان هذا هو الصالحُ العامُ الوحيدُ الذي فَعَلَهُ الإصلاحُ؛ لأنه، فيما يتعلقُ بالصالحِ الديني، قـد لا يكون كذلك. الأساطيرُ لا تزالُ مُستَمرَةً بنفس الطريقةِ؛ و تعددت البابـاواتُ متفرعـةً مـن البابا المسيحي.

الفصل الثالث عشر: مقارنة بين المسيحية و أفكار دينية مستوحاة من الطبيعة

بعد أن أظهرتُ، من الادلةِ الداخليةِ للأشياءِ، السبَبَ ألـذي انتَـجَ تغييـراً فـي حالـةِ التعلُـمِ، والدافع لاستبدال دراسة اللغات الميتة، فإنني أشـرعُ، بالإضـافة إلـى الملاحظـات العديـدة التي سبق أن أُثيرت في الجزءِ السابقِ من هذا العمل، مقارنةَ الأدلةِ التي تـؤدي إليهـا بُنيـةُ الكونِ، مع النظام المسيحيِ للدين، أو بالأحرى مواجهة هذه الأدلة.

ولكن بما أنني لا أستطيعُ أن أبدأ هذا الجزءَ أفضلَ من الإشارةِ إلـى الأفكـار الـتي راودتنـي في وقت مبكرٍ من الحياة، والتي أشك في أنها لم تحدث الى حد ما لكل شخص في وقـتٍ من الأوقات، وسوف أذكرُ تِلكَ الأفكار، وأُضيفُ إليها أي مسألة أخرى تنشأُ عـن الموضـوع، مع إعطاء مقدمةٍ عامةٍ موجزةٍ.

كان والدي من الكـويكرز، كـان مـن حسـن حظـي أن احظـى بتعليـمٍ أخلاقـيٍ جيـدٍ للغايـة، ومخزون مفيدٍ من التعلم. على الرغم من أنني ذهبـتُ إلـى مدرسـة قواعـد اللغـةِ، لـم أكـن أتعلم اللاتينية، ليس فقط لأنني لم يكن لـدي ميـولٌ لتعلـمِ اللغـاتِ، ولكـن بسـبب اعـتراض الكويكرز على الكتب التي يتم تدريس اللغة بها. ولكـن هـذا لـم يمنعنـي مـن التعـرف علـى موضوعات جميع الكتب اللاتينية المستخدمةِ في المدرسة.

لقد كان ذهني يميلُ بصورةٍ طبيعيةٍ للعلم. كان لي بعض المنعطفاتِ، وأعتقدُ بعض مواهب الشعرِ؛ ولكني قمعته لانه كثيرا ما يؤدي الى مجال الخيال. وسرعان مـا تمكنـت مـن شـراءِ زوجٍ مـن الكـرات الارضـية المصـغرة، وحضـور المحاضـرات الفلسـفية لمـارتن فيرغسـون ورافقت فيما بعد الدكتور بيفيس من الجمعية الملكيـة، ثـم عِشـتُ فـي معبـد، وأصبحتُ ممتازاً في علم الفلك.

لم يكن لدي أي دخلٍ بما سمي بالسياسة. لقد كان وقعُ الكلمة لي ككلمةِ سباق الخيل. عندما تحولت أفكاري نحو مسائل الحكومةِ، كان علي تشكيلُ نظاماً خاصاً لنفسي، الذي يمثلُ المبادئَ المعنويةَ والفلسفيةَ التي كنت قد تعلمتها.

رأيت، أو على الأقل فكرت أنا رأى، مشهداً واسعاً يفتح نفسه للعالم في شؤون أمريكا؛ وبدا لي أنه ما لم يغير الأمريكيون خطتهم، فيما يتعلق بحكومة إنجلترا، و اعلان استقلالهم، فإن ذلك لن ينطويَ فقط على العديد من الصعوباتِ الجديدة، ولكن اغلاقُ الآفاقِ التي تقدم نفسها للبشرية من خلال امكانياتهم. كانت هذه من دوافع نشري العمل المعروف باسم الحس السليم، الذي هو أول عملٍ قُمتُ به، و على المدى الذي يمكنني فيه الحكم على نفسي، أعتقد أنني لم ينبغي أبداً ان اكون معروفاً في العالم ككاتب عن أي موضوع كان، ما لم يكن متعلقاً بالشؤون الأمريكية.

لقد كَتبتُ الحس السليم في نهاية عام ١٧٧٥، ونشرته في الأول من يناير ١٧٧٦ و تم أعلان الاستقلال في الرابع من يوليو الذي تلاه.

أي شخصٍ، قد قدمَ ملاحظاتِ عن الدولة والتقدمِ والعقلَ البشريِ، من خلال مراقبةِ بلدهِ، لا بُدَ انه قد لاحظَ نوعانِ متميزانِ من ما يسمى بالأفكار. تلك التي تَنتجُ في أنفسنا من خلال التفكير والعمل، وتلك الراسخة في العقل من تلقاء نفسها.

لقد جعلت دائما قاعدة لمعاملة الافكار بتحضر، مع الحرص على دراستها، قدر استطاعتي، إذا كانت تستحق الاهتمام؛ ومنها قد اكتسبتُ تقريبا كل المعرفةِ التي لدي. أما بالنسبة للتعلم أن ما يكسبه أي شخص من التعليمِ المدرسيِ فأنه كرأس مال صغير، لوضعه في طريق البدء في التعلم لنفسه. فكلُ شخصٍ في النهايةِ هو معلمهُ الخاص.

السببُ هو أن مبادئ التعلم، التي تتسم بجـودةٍ مميـزةٍ للظـروفِ، لا يمكـن ان تُفـرَضَ علـى الذاكرةِ. مكان إقامتِهم العقلية هو الفهم.

منذ الوقت الذي كنت قادراً فيه على تصورِ الفكر، والعمـل مـن خلال التفكيـر، وأنـا أُشـكّ في حقيقةِ النظام المسيحي، أو أعتقدُ أنها قضيةٌ غريبةٌ.

أتذكر أيضا، عندما كنتُ حوالي سبعٍ أو ثماني سنواتٍ من العمرِ، عند سماع خُطبةٍ من قِبَـلِ قريبٍ لي، كان مُخلصاً عظيماً للكنيسةِ، عن موضوعِ ما يسمى الخلاص من قبل مـوت ابـن الرب.

بعد انتهاء الخطبة، ذهبت إلى الحديقةِ، وبينما كُنتُ أنزِلُ من سُـلمِ الحديقـةِ (لأننـي أتـذكرُ تماماً المكان) لقد ثارت في ذاكرتي ما سَمِعتُ، وفكـرت فـي نفسـي أن ذلـك يجعـلُ القـديرُ يتصرف مِثلَ رجلٍ عاطفيٍ قَتَلَ إبنهُ عندما لم يمكنه الانتقام بنفسه بأي طريقة أخرى.

لم أرى أي سببٍ للتبشير بهذه الخُطبِ. فلم تكن هذه الأفكارُ من النـوعِ الـذي كـان لـه وقـعٌ جيدٌ على عقلِ طفلٍ. كان لي انطباعٌ أن الاله كان خيراً جداً من ان يقوم بمثل هكـذا عمـل، او ان القدير كان مضطراً للقيام بذلك اساساً. أعتقدُ بنفس الطريقةِ حتى هذه اللحظـةِ، أن أي نظامٍ دينيٍ لديه أي شيء يصدمُ عقل الطفلِ، لا يمكن أن يكون نظاماً حقيقياً.

يبدو كما لو كان الآباء من المسيحيين يشعرونَ بالخجلِ من إخبـارِ أطفـالهم أيَ شـيءٍ عـن مبادئِ دينِهمْ. إنهم أحياناً يوجهونَهم إلى الأخلاقِ، ويتحدثون معَهُمْ عـن خيـر مـا يسـمونه الرعاية؛ لأن الأساطير المسيحية لديها خمسةٌ من الآلهة: هناك الآب، الابن، الروح القدس، الرعاية الالهية، والطبيعة. ولكن القصـة المسـيحية مـن وضـع الآب لإبنـه تحـت المـوت، أو توظيفُ الناس للقيام بذلك، لا يُمكنُ أن يُقالَ من قبَلِ أحد الوالدين لطفلهمـا. وأن يقـال لـه

أن ذلك لجعل البشرية أفضلَ و أكثرَ سعادةً ، هو ما يجعل القصة أسوأ؛ كما لـو أن البشـرية يمكن تحسينها بقدوةِ القتـلِ؛ وألقـول لـه أن كـل هـذا الغمـوض، هـو ذريعـة لعـدم عقلانيـة المبدأ.

كم يختلف هذا عن الايمان النقي و البسيط من الربوبية! الربوبي الحقيقي لديه إلهٌ واحـدٌ. ويتكون دينهُ من التأملِ في قوةِ، و حكمةِ، الإلهِ في أعماله، وفي السـعي لتقليـدهِ فـي كـل شيءٍ أخلاقيٍ، علميٍ، وميكانيكي.

الدين الذي يَقتربُ من الربوبيةِ الصحيحةِ، في الجُزءِ الأخلاقيِ و الحميد منها، هو المعلـن من قبل الكويكرز؛ ولكنهم انكمشـوا علـى نفسـهم كـثيراً مـن خلال تـرك أعمـال الآلـه. علـى الرغم من أنني أشعر بالإحساس بأعمالهم الخيرية، لا يسعني إلا أن أبتسـمَ بغـرورٍ، أنـه إذا ما تم استشارة الكويكر عند الخلق، فما الخلـق الصـامت الـذي كـان سـيكون! فلا زهـرة قـد تزهر، ولا طير قد يسمح له بالغناء.

وإنهاءً لهذه الأفكار، أشرعُ في مسائلٍ أخرى. بعد أن أصبحتُ ماهراً فـي اسـتخدام الكـرات (الكرات الارضية المصغرة)، وتصـورُ فكـرةِ الفضـاءِ اللامحـدودِ، و التقسـيمُ الأبـديُ للمـادةِ، والحصولُ، على الأقل، على معرفةٍ عامةٍ لما كان يُسمّى بالفلسفة الطبيعيـةِ، بـدأت بمقارنـة او بمواجهة النظام المسيحي للإيمان من خلال الأدلةِ الداخليةِ التي تحملُها تلكَ الأمور.

على الرغم من أنه لم يكن طرحاً مباشراً من النظام المسيحي كون هذا العالم الـذي نسـكنه هو الوحيد الذي خُلقَ، ولكن من خلال العمل بما يسمى قصة الخلق، قصة حـواء و التفـاح، ونقيض تلك القصة، موت ابن الربِ. ايماننأ خلافاً لذلك، اي الايمان بأن الآله قد خلق عدداً وافراً من العوالم، على الأقل العديد من ما نسميه النجوم، يجعلُ النظامَ المسيحيَ صـغيراً و مثيراً للسخريةِ. متناثراً في العقلِ كما يتناثرُ الريشُ في الهواء.

على الرغمِ من كونِ الايمان بعدد وفير من العوالم مألوفا لدى القدماء، إلا أنه في غضون الثلاثة قرون الماضية تم التأكد من مدى وأبعاد العالم الذي نعيش فيه. فقد أبحرت عدة سفن، في المحيط حول العالم، حيثُ يُمكنُ للرجل أن يسيرَ في دائرةٍ، ويأتي بجولة من الجانب الآخر من الدائرةِ إلى المكان نفسه الذي أنطلقَ مِنهُ. إن أبعاد عالمنا، في أوسع جزء، كرجل يقيس أوسع محيط لتفاحةٍ، أو كرةٍ، هو فقط خمسة وعشرون ألفاً وعشرون ميلا، ويمكن ان يُبحَرَ في حوالي ثلاث سنوات.

عالمُ مِن هذا المدى قَد يبدو لنا كبيراً لأولَ وَهلةٍ. لكن إذا قارناها مع مساحةِ الفضاءِ التي عُلقَتْ فيها، مثل فقاعةٍ أو بالونٍ في الهواءِ، فإنها صغيرةٌ مثل حبة الرمال من حجم العالم، أو أرقى الجسيمات من الندى إلى المحيط كله، وبالتالي فهي صغيرة. وكما هو مبين فيما بعد، ليست سوى واحدة من نظام العوالم.

ليس من الصعبِ الحصولُ على فكرةٍ بسيطةٍ عن مساحةِ الفضاءِ التي يتمُ فيها تعليقُ هذا العالم و العوالم الأُخرى، إذا تتبعنا الأفكارَ. فعندما نُفَكرُ في حجمِ أو أبعاد، غرفةٍ، أفكارُنا تقتصِرُ على الجدران، وهناك تتوقف. ولكن عندما تكون اعيُننا، أو خيالنا سهاماً في الفضاء، وهكذا، عندما نبدأ صعوداً إلى ما نسميه الهواء الطلق، فلا يمكننا تصورُ أيَ جدرانٍ أو حدودٍ. وإذا افترضنا حدوداً، فإنَ السؤالَ يُجدِدُ نَفسَهُ فوراً، ويسألُ، ما هو أبعد من ذلك الحد؟ وبنفس الطريقة، ما هو أبعدُ من الحدود التاليةِ؟ وما إلى ذلك حتى يعودُ الخيالُ المرهق ويقول: ليس هناكَ نهايةٌ. ومن المؤكد أن الخالق لم يكن مقيداً بغرفةٍ عند خلقهِ لهذا العالم؛ وعلينا أن نبحثَ في شيء آخر.

إذا أخذنا دراسةً استقصائيةً لعالمنا، بالأحرى قد أعطانا الخالق هذا الاستخدامَ كجزءٍ في نظام الخلق الهائلِ، نَجدُ كُل جزءٍ منه، الأرضَ، المياهَ، والهواء التي تحيط بها، مليئةً،

ومرصوفةً بالحياة، من أكبر الحيوانات الـتي نعرفهـا لأصـغر الحشـرات الـتي نراهـا بـالعين المجردة، واخرى اصغر، لا تُرى إلا بمساعدةِ المجهرِ. كل شجرةٍ، كل نباتٍ، كل ورقـةٍ، تخـدم ليس فقط كمسكنٍ، بل كعالمٍ لبعض الانواعِ العديدةِ، حيثُ يكـونُ جـزءاً مـن العشـب غـذاءً لآلافٍ.

مُنذُ ذَلَكَ الحينِ لـم يُـتركْ أيُ جـزءٍ مـن أرضـنا غيـرَ مشـغولٍ، لمـاذا اذاً نفـترضُ أن مسـاحة الفضاءَ هي فراغٌ متروكٌ؟ هناك مجالٌ لملايين العوالِم الكـبيرةِ أو الأكـبرُ مـن عالمنـا، ولكـل مِنهم ملايين الأميال عن بعضها البعض. بعد أن وصلنا الآن لهـذه النقطـة، قـد نـرى السـبَبَ الحقيقيَ، أو على الأقل، سبب وجيه جـدا لسـعادتنا، لـم جعـلَ الخـالقُ عـالمً واحـداً هـائلاً، يمتدُ على مساحةٍ هائلةٍ من الفضاءِ، تُقَسَـمُ فيـهِ المـادةُ لعـوالم منفصـلة نسـميها الكـواكبَ، والتي أرضنا هي احدُها. ولكن قبل أن أطرَحَ أفكاري حولَ هذا الامر، مـن الضـروري (ليـس من أجل الذين يعلمون بالفعل ، ولكن بالنسبة لأولئك الذين لا يعلمون) إظهارُ نظامُ الكونِ.

الفصل الرابع عشر: نظام الكون

هذا الجزءُ من الكون الذي يسـمى بالنظـامَ الشمسـيَ (بمعنـى إن الشـمسَ هـي مركـزُ نظـام العوالم التي تنتمـي إليهـا أرضُـنا) يتكـونُ، إلـى جـانبِ الشـمسِ، مِـن سـتةِ أجـرامٍ سـماويةٍ متميزةٍ ، أو كواكبٍ، أو عوالمٍ، إلى جانب الهيئاتِ الثانويةِ، التي تُسمى أقماراً، والـتي يـدورُ احـدُها حـول الأرض، كمـا تـدور اقمـارٌ أُخـرى حـولَ كواكبهـا، كمـا يتضـحُ لنـا بمسـاعدة التليسكوب.

الشمسُ هي المركز الـذي يـدورُ حولُها كـلٌ مِـنَ العـوالم أو الكـواكب السـتةِ علـى مسـافاتٍ مختلفةٍ مِنها، وفي دوائرٍ متحدةِ المركزِ. كلُ عالمٍ يَبقى باستمرارٍ فـي نفـسِ المسـارِ تقريبـاً حول الشمس، ويستمرُ في نفس الوقت بالدورانِ حـولَ نفسِـه، كمـا يـدورُ المِصـراعُ حـول نفسِه لكن بميلانٍ قليلٍ.

تميـلُ الأرضُ (٢٣.٥ درجـةً) و ذلـك مـا يُسـببُ الفصـولَ و إختلافَ طـولَ النهـارِ والليـل. إذا تحولت الأرض لتدورَ حولَ نفسها عمودياً كما يتحـول المصـرع عنـدما يقـف مُنتصـباً علـى الأرض، فإن الأيامَ والليالي تكونُ دائما بنفسِ الطول، اثني عشرة سـاعةً نهـاراً ومِثلُهـا ليلاً، ويكون الموسم نفسه واحداً على مدار السنة.

في كل مرة يُكمِلُ فيها كوكبٌ (أرضنا على سبيل المثال) دورةً حولَ نفسِهِ، فإنه يجعـل مـا نسميه النهار والليل. وفي كل مرةٍ يُكمِلُ جولةً حول الشمس، فإنه يجعـلُ مـا نسـميه سـنةً، وبالتـالي عالمُنـا يـدورُ حـولَ نفسـه ثلاثمئـة وخمـس وسـتون مـرة، بجولـة واحـدةٍ حـول الشمس.

الأسماء التي قّدَمَها القدماء لتلك العوالم الست، وما زالت تسمى بنفس الأسماء، هي عطارد، الزُهرة ،عالمنا، المريخ، المشتري، وزُحل. أنها تبدو أكبر للعين من النجوم، و هي أقرب بملايين الأميال إلى أرضنا من أيٍ مِنَ النُجومْ.

كوكبُ الزهرة الذي يسمى نجم المساء، وأحيانا نجم الصباح، الذي يغربُ، أو يشرقُ قبل الشمس، بفترة لا تزيد عن ثلاث ساعات.

الشمس كما ذُكِرَ مِنْ قبلُ هي المركز، الكوكب أو العالم الأقربُ الى الشمسِ هو عطارد. مسافةُ بُعدِهِ عن الشمس هي أربعةٌ وثلاثون مليونَ ميلٍ، ويَتَحركُ في مدارٍ دائريٍ دائميٍ على تلك المسافة من الشمس، كما يدورُ الحصانُ في مطحنة.

العالم الثاني هو الزُهرة. يَبعُدُ سبعةً وخمسينَ مليونَ ميلاً عن الشمسِ، وبالتالي يدور في دائرة أكبر من تلك لعطارد. العالمُ الثالثُ هو هذا الذي نعيشُ فيه، والذي يَبعدُ ثمانية وثمانون مليون ميلٍ عن الشمس، وبالتالي يدورُ في دائرةٍ أكبرَ من الزُهرة. العالمُ الرابعُ هو المِريخ؛ ويبعدُ عن الشمسِ مائةً وأربعةً وثلاثونَ مليونَ ميلٍ، وبالتالي يَدورُ في دائرةٍ أكبرُ من تِلكَ التي للأرض. والخامسُ هو كوكبُ المشتري؛ انهُ يبعدُ عن الشمسِ خُمسمائة و سبعٌ وخمسون مليونَ ميلٍ، وبالتالي يدورُ في دائرةٍ أكبرَ مِنَ المريخ. العالمُ السادسُ هو زُحل. انه يَبعُد عن الشمسِ سبعمائةَ وثلاثةَ وستون مليونَ ميلٍ، وبالتالي يَدورُ في دائرةٍ تحيطُ مداراتِ جميعِ العوالم أو الكواكبِ الأخرى.

إن الفضاءَ الذي يشغَلهُ النظامُ الشمسيُ الذي يحتوي عدة عوالمٍ تدورُ حولَ الشمسِ، قُطرُهُ مساوٍ لقُطرِ الدائرةِ التي يدورُ فيها زُحل حولَ الشمس، والتي تساوي ضعفَ مسافةِ بُعدِهِ عن الشمس، هي خمسةَ عشرَ مائة و ستة وعشرون مليون ميل. ومحيطُ دائرتها ما يقاربُ خمسة آلاف مليون ميل.

ولكن هذا الفضاء الهائل هو نظامٌ واحدٌ فقط من العوالمِ. أبعد منهُ في مسـافةٍ واسـعةٍ مـن الفضاء، هُناكَ ما يتجاوزُ الحُسبان، و هي النجوم التي تُدعى النجومَ الثابتة. وتسمى ثابتـةً، لأنها لا تَدورْ، كما تدورُ العوالم أو الكواكبُ السِتُ التي قُمتُ بوصـفها. تلـك النجـومُ الثابتـة تبعدُ دائماً عن بعضِها البعض بنفس المسافةِ، و تَقَعُ دائماً في نفسِ المكانِ مـن نظامهـا، كمـا تَفعلُ الشمسُ في نظامنا. وبالتالي، فإن الاحتمـال هـو أن كلاً مـن تلـك النجـوم الثابتـة هـو أيضا كالشمس، يدور حولها نظامٌ آخرٌ من العوالمِ أو الكواكبْ.

وبهذا التقدم السهل للأفكار، تَظهَرُ مساحةُ الفضاءِ لنا مليئةً بأنظمـةِ العـوالمِ؛ وأنـه لا يوجـد جزءٌ من الفضاءِ بلا فائدة. و بذلكَ انتقلُ، بطريقةٍ مألوفةٍ وسهلةٍ، بعد عرضِ فِكرةٍ عن بنيــةِ الكونِ، إلى شرح ما سبق أن ألمَحتُ إليهِ، وهي الفوائدُ العظيمةُ للإنسانِ الناتجة مِن جعـلِ الخالق عدداً وافراً من العوالم، مثـل عالمنـا، الـذي يتكـونُ مـن الشـمسِ فـي المركـز وسـتةَ عوالمٍ، إلى جانبِ الأقمارِ، بدلاً من خلقِ عالمٍ كبيرٍ واحدٍ.

الفصل الخامس عشر :مزايا وجود عوالم كثيرة في النظام الشمسي

إنها فكرةٌ لم أفقدها أبدا، بأن كل معرفتنا بالعلم مُستَمدةٌ من الجـولاتِ (الـتي تظهـر لعيننـا ومن ثم إلى فهمنا) التي تقومُ بها الكواكبُ أو العـوالمُ المتعـددة الـتي يتكـونُ منهـا نظامُنـا الشمسي.

إذا كانت كميةُ المادةِ التي تحتوي عليها هذهِ العوالمُ الست قَد تّمَ مَزجُها فـي عـالمٍ واحـدٍ منفردٍ، لكانت النتيجةُ بالنسبة لنا، إمـا عَـدَمَ وجُـودَ حركـةِ دورانٍ، أو انهـا لـن تكـونَ كافيـةً لإعطائنا الأفكارَ والمعرفـةَ الـتي لـدينا الآن مـن العلـوم و جميـع الفنـون الميكانيكيـة الـتي تساهمُ كثيراً في الراحةِ على الارض.

ومِن ثُم فـإن الخـالقَ لـم يفعـل شـيئاً عبثـاً، فـإنه نّظَـمَ هيكـل الكـون بـأكثرِ الطُرُقِ فائـدةً للإنسان. وكما نرى، الفوائدَ التي نستمِدُها من هيكل الكـون، كمـا هـو، و الا لمـا كـان لـدينا فُرصَةُ التَمَتُعِ لو كانَ الهيكـلَ عالمـاً انفراديـاً، يمكننـا أذاً أسـتدلالَ سـببٍ واحـدٍ علـى الأقـل لوجودِ عددٍ وافرٍ من العوالم، وهذا السبب يدعو الانسان للإمتنانِ و الاعجابِ.

ولّكنَ ليس لنا، سُكانُ هـذا العـالمِ، فقـط، هـذه الفوائـدَ الناشـئةَ مِـن وجـودِ عـددٍ وافـرٍ مـن العوالمِ. إنَ سُكانَ كُلَ العوالمِ التي يتألفُ مِنها نِظامُنا، يتَمَتَعونَ بنفـس فـرص المعرفـةِ كمـا نَفعَـل. إنهـم يعلَمـونَ حَرَكـةَ دورانِ أرضِـنا، و كـلَ الكـواكبِ الاخـرى. وبالتـالي، فـإن نفـس المدرسـةِ العالميـةِ للعلـومِ تُقـدِمُ نَفسَـها للجميـعِ. ولا تتوقـفُ المعرفـةُ هنـا فنِظـامُ العـوالم المجاورةِ لنا، في دوراتهـا، لهـا نفـسُ المبـادئِ العلميـة، وبطريقـة مماثلـةٍ فـي جميـع أنحـاءِ الفضاء.

إن أفكارنا، ليست فقط حول قُدرة الخالقِ، بل حكمتِهِ وإثرائهِ، تتسعُ بما يتناسبُ مع حجـمِ الكونِ وبنيتهِ. إن فكرةَ العالمَ المُفردَ في المحيط الهائلِ مِنَ الفضاء، تُستَبدَلُ بفكرةٍ مبهجـةٍ لمجتمعٍ من العوالمِ، إننا نـرى أرضَـنا مليئـةً بـالوفرةِ؛ ولكننـا ننسـى أن ننظُـرَ كـم مـن تلـكَ الوفرةِ يرجعُ إلى المعرفةِ العلميةِ التي تَكشِفُها لنا آلاتُ الكونِ الواسعة.

الفصل السادس عشر: تطبيق ما سبق على النظام المسيحي

ولكن، في خضمِ تلك الأفكار، ما الذي نراهُ في نظام الإيمان المسـيحي الـذي يُشَـكلُ نَفسَـهُ على فكرةِ عالمٍ واحدٍ فقط، ليـسَ بـأكبر مـن خمسـة وعشـرين ألـف ميـل. حيـث يسـتطيع الانسانُ مشيه بمعدلِ ثلاثة أميالٍ في الساعة لمدة اثنتي عشرة ساعة في اليوم، لأقلِ مـن عامين، بمسار دائريٍ. واحسرتاه! ما هذا المحيطُ العظيمُ من الفضاءِ، وقوة مِن الخالق!

من هناك تنشأُ فكرةٌ غريبةٌ بأنَ الخالقَ الذي تَعتَمِدُ الملايينُ مِنَ العوالمِ علـى رعـايتِه، عليـه تَركُ كُل ما تبقى، ويأتيَ للموتِ في عالمنا، لأنهم يقولونَ، أن رجلاً وامرأةً قـد أكلـوا التفـاح! ومن ناحيـةٍ أُخـرى، هـل علينـا أن نفـترضَ أن كُلاً مِـنَ العـوالمِ فيهـا حـواءٌ، تفاحـةٌ، ثعبـانٌ، ومخلصٌ؟ في هذه الحالة، فإن الشخص الذي لا يرقى الـى اسـمِ ابـن الـرب، وأحيانـاً الـربَ نفسه، لن يكون له أيُ شيءٍ آخرَ سوى السفرَ من عالمٍ إلى آخر، والموتَ بتتابعٍ، مع ما يكـادُ لحظةً فاصلةً للحياة.

انهُ مِن خلالِ رفضِ الأدلةِ حولَ كلمةِ أو أعمالِ الربِ في الخلق، تم تأسيسُ نظمـاً غريبـةً و ادياناً ملفقةً، قد يكون العديد منها سيئاً أخلاقياً في نواحٍ و جيداً في نواحٍ اخـرى؛ ولكـن يمكن أن يكون هناك واحدٌ صحيحٌ فقط. يتفقُ بالضرورةِ في جميعِ الأمورِ بما يتناسبُ مـع كلمةِ الربِ القائمةِ مُنذُ أي وقـتٍ مضـى المتمثلـةِ فـي أعمـالهِ. ولكـنَ البنـاءَ الغريـبَ للنظـام المسيحيِ للإيمـان، تُناقِضُـهُ كُـلَ الأدلـةِ الـتي تمنحهـا السـماوات للإنسـان، أو تجعلـه يبـدو سخيفاً.

فمن الممكن أن نؤمن، وأنا دائما أشجع نفسي على ذلك، أن هنـاك رجـال فـي العـالم الـذين أقنعوا بأن ما يسمى غش التقية، على الأقل في ظل ظـروف معينـة، تكـون منتجـة لبعـض

الخير. غير أن الغش الذي تم إنشاؤه في وقت ما، لا يمكن تبريره بعد ذلك؛ لأنه مع غش التقية كما هو الحال مع العمل سيء، فإنه يبعث على ضرورة من الاستمرار.

الأشخاصُ الذينَ بَشَروا أولاً بالنظامِ المسيحيِ للإيمان، وفي بعض الاحيان جنباً إلى جنب مع الأخلاقِ التي بّشَرَ بها يسوع المسيح، قد يُقنعونَ أنفسهم أنه كان أفضَلَ من الأساطيرِ الوثنيةِ التي سادت قبل ذلك.

من الواعظ الأول إنتقلَ الاحتيالُ إلى الثاني، والثالث، حتى أن فكرةَ كونه غشاً تقياً قد فُقِدَتْ و إختُلِطَتْ بإعتقادِ كونها حقيقةً. و يشجُع هذا الاعتقادُ مرةً أخُرى مصلحةُ الذينَ كَسَبوا رِزقَهم بالوعظ.

ولكن على الرغمِ من أن مثل هذا الاعتقاد يمكن لهُ بهذهِ الوسائلِ، أن يَعُّمَ تقريبا بين الدنيويين، فمن المستحيلِ مقارنتِه مع الاضطهادِ المُستمرِ الذي مارَستهُ الكنيسة، لعدة مئاتٍ من السنين، ضِّدَ العلومِ، وضد أساتذتهِ، ما لم تكن للكنيسةُ بعض السِجلاتِ بكونها غشاً تقياً، أو توقعِها عدمَ الصمودِ امامَ الأدلةِ التي يوفِرُها هيكلُ الكون.

الفصل السابع عشر: من الوسائل المستخدمة على الصعيد العالمي، لخداع الشعوب

بعد أن أظهرتُ التناقضاتِ التي لا يمكن توفيقها بين الحقيقـي مـن كلمـةِ الـربِ الموجـودةِ في الكون، والتي تُسمّى كلمة الرب، في كتابٍ مطبوع يُمكنُ لأي إنسـانٍ صُـنعهُ، اتكلـمُ الآنَ عن الوسائلِ الرئيسيةِ الثلاث التي أُستُخدِمَتْ في جميعِ العصورِ، وربما في جميعِ البلـدانِ، لفرضِها على البشريةِ.

هـذهِ الوسـائلُ الثلاثَ هـي الغمـوض، المعجـزة، والنبـوءة. أولَ إثنيـنِ لا يتفقـانِ مـع الـدين الحقيقيِ، والثالثُ يجب أن يُشككَ به دائماً.

وفيما يتعلقُ بالغموضِ فهو كالتالي، إنَ كُل مـا لـدينا هـو لغـزٌ؛ الخُضـارُ هـو لغـز. فلا يُمكنُنـا معرفةَ كيف أنَ البلوطَ، عندما يوضعُ في الأرض، ينمو ويُصبحَ شجرةَ بلوط. نحنُ لا نعـرفُ كيفَ أن البذورَ التي نَزرعها تنمـو وتضـاعفُ نفسـها، و تعـود لنـا بفائـدةٍ وفيـرةٍ لـرأسِ مـالٍ صغيرٍ جداً. لكننا نَعرِفُ الوسائلَ الـتي نَسـتَخدِمُها، والـتي ليسـت سِـوى وضـع البـذورِ فـي الأرضِ فنعرفُ فقط بقدرِ ما هو ضروريٌ بالنسبة لنا أن نعرف؛ وجزءُ العمليةِ الذي لا نعرفُه او حتى اذا عرفناه، فلن نتمكن من أداءِه، فالخـالق يَفعَـلُ ذلـك بنفسـهِ. لـذلك، نحـن أفضـل حالاً بتركها سراً و عدمَ الاضطرارِ لفعلِها بأنفُسِنا.

ولكن على الرغم من أنَ كُل شيءٍ مخلوقٍ هو غـامضٌ لنـا بهـذا المعنـى، فكلمـةُ الغمـوضُ لا يمكنُ تطبيقُها على الحقيقةِ الأخلاقيةِ، كمـا لا يُمكـنُ تطـبيقُ الغمـوضِ علـى الضـوء. الـرب الـذي نـؤمنُ بـهِ هـو إلـهُ الحقيقـةِ الأخلاقيـةِ، وليـس إلـه الغمـوض. الغمـوضُ هـو اختصـارٌ للحقيقةِ. إنهُ ضبابٌ مِن اختراعِ الإنسانِ الذي يَحجِبُ الحقيقةَ، ويُمَثلهـا بتشـويهٍ. الحقيقـةُ لا تُغَلِفُ نَفسَها أبداً بالغموضْ.

وبالتـالي، فـإن الإيمـانَ بـالربِ، وممارسـةِ الأخلاقِ الحقيقـةِ، لا يُمكـنُ أن يَكـونَ مُرتَبِطـاً بالغموض. الإيمانُ بربٍ فيهِ أيُ شيءٍ من الغموض هوَ مِـنَ المعتقـداتِ الأكـثرِ سـهولةً الـتي تُثيرُنا و تَظهَرُ لنا كضـرورة. لكّـن المُمارسـةَ الأخلاقيـة الحقيقـةَ، أو، وبعبـارة أخـرى، تقليـدٌ عمليٌ للأخلاقيةِ الخيرةِ للرب ليست سوى أن نَتَصَرَفَ تجاهَ بعضِـنا البعـض كمـا هـو يَفعَـلُ تِجاهَ الجميع.

لا يُمكنُنا أن نَخدُمَ الرّبَ كأنه بحاجةٍ ماسةٍ لتلكِ الخدمـةِ؛ وبالتـالي، الفكـرةُ الوحيـدةُ الـتي يُمكنُ أن تَكونَ خِدمَةً للربِ، هيَ المُساهمةُ فـي سعادةِ الخلـقِ الحـيِ الـذي صَـنَعَهُ الـرب. لا يُمكنُ القيامُ بذلِكَ عن طريق التقوقع على أنفُسِنا وإنفـاقُ حيـاةٍ راكـدةٍ بتكريـسٍ انـانيٍ. إنَ طبيعةَ الدينِ وتصميمهُ، إذا كان ليَ أن أُعبِرَ عَنهُ هكذا يّجِبُ أن يكـونَ خاليـاً مِـنْ أي شـيءٍ من الغموضِ حتى في مظاهرهِ.

الدينُ، كواجبٍ، هو واجبٌ على كُلِ روحٍ حيةٍ على حدٍ سواء، يجبُ أن يكونَ على مستوى فِهمِ الجميعِ. الرجلُ لا يتعلمُ الـدينَ بتعلمـهِ أسـرارَ التجـارةِ. لكنـه يتعلـمُ نظريـةَ الـدينِ مـن خلال التفكيرِ. وينشأُ مما يسمعُ و يقرأ، والممارسةُ تَنضَمُ إلى ذلكَ.

وعِندما يُنشئُ الإنسانُ ديناً يتعارضُ مع كلمةِ أو أعمالِ الربِ في الخلقِ، خارجـاً عـن الفهـمِ البشريِ، فهو مُضطَرٌ لإختراعِ أو اعتمـادِ كلمـةً تُمَثِـلُ حـداً لكـلِ الأسـئلةِ، و الإستفسـاراتِ و التناقضات.

كما خدمَ الغموضُ جميع الأغراض العامـةَ، أعقبتـهُ المعجـزةُ كمسـاعدٍ فـي بعـضِ الأحيـانِ. الأول اشـار إلـى حيـرةِ العقـلِ، والثـاني إلـى لغـزِ الحـواسِ. وكـان احـدُهم كلاميـاً، والآخـرُ شعورياً.

لكن قبلَ المُضي قُدماً في هذا الموضوعِ، سيكونُ من المناسبِ الاستفسارُ عن معنى المعجزة. بنفسِ المعنى الذي يُمكنُ أن يُقال فيه أنَ كُلَ شيءٍ هو لغز،

يمكنُ أن يقالَ أيضاً أن كُلَ شيءٍ هو معجزة، وأنه لا معجزةَ أكبرُ من آخرى. الفيل، وإن كان أكبر، ليس بمعجزة اكبر من سوس، و ليس الجَبَلُ بأكبرَ معجزةً من الذرة. فإنه ليس من الصعب لقدرةِ الربِ جعلَ واحداً من الآخر، وليس أكثر صعوبةً من خلقِ مليوناً من العالمين بخلق واحد فقط.

كُلَ شيءٍ، إذاً، هو معجزةٌ، بمعنىً واحدً؛ بينما، في الجانبِ الآخرِ لا يوجدُ شيءٌ أسمهُ معجزة. إنها معجزةٌ عندَ مقارنتهِ مع قُدُراتِنا، وفِهمِنا. وليست معجزةً مقارنةً مع القدرةِ التي تؤديها. فأذاً لا شيء مِن هذا الوصفِ يَنقُلُ الفكرة الملصقة بكلمةِ المعجزة، فمِنَ الضروريِ تَفَحُص الاستفسارِ أكثر.

تتصورُ البشريةُ لنفسها قوانيناً معينةً، يدعونها بالطبيعة تُفَسِرُ كيفَ من المفترضِ أن تتصرفَ. وأنَ المعجزةَ هيَ شيءٌ يخدعُ او يخرجُ عن تلكَ القوانين. ولكن ما لم نَكن نعرفُ مدى هذه القوانين، وما يطلقُ عليهِ عادةً الطبيعةَ، فنحنُ لسنا قادرينَ على الحكمِ ما إذا كان أيُ شيءٍ يبدو لنا رائعاً أو خارقاً، قد يكونُ مخالفاً للطبيعة.

صعودُ رجلٍ عِدةَ أميالٍ عاليةٍ في الهواءِ يشكل فكرةٍ لمعجزة، إذا لم يكن معروفاً أن أنواعاً من الغازاتِ يمكنُ أن تكونَ أخفَ وزناً مِنَ الهواءِ الجوي، ومرنةً بصورة كافيةٍ لنفخِ البالونِ الذي يكون فيه الغاز مغلقاً.

بهذه الطريقةِ، إستِخراجُ ومضاتٍ أو شراراتٍ من النار من جسمِ الإنسانِ، كما يبدو عند طرقِ الحديد، وتسبب الحديدِ أو الصلبِ بالتحركِ دونَ أي عاملٍ مرئيٍ، يُعطي أيضاً فِكرة

معجزة، إذا لم نكن على درايةٍ بالكهرباءِ والمغناطيسيةِ كما للعديد من التجاربِ الأخرى في الفلسفة الطبيعية، لأولئكَ الذين ليسوا على درايةٍ بهذا الأمر.

إستعادةُ الأشخاصِ إلى الحياة بعد الموتِ كما يُمارَس عِند غرقِ الأشخاصِ، سيكونُ أيضاً معجزةً، إذا لم يَكن من المعروفِ أنَ الحياةَ قد تكونُ مُعلَقةً دونَ أن تنتهي.

وبالاضافةِ الى هذه، هُناكَ عروضٌ لخفة اليد لها مظاهرٌ خارقةٌ، و الخداعُ البصريُ. هناك الآن معرضٌ في باريس يُظهِرُ شبحاً، على الرغم مِن أنه لا يُطرَحُ على المتفرجينِ كحقيقةٍ، لكن لديهِ مظهرٌ مُذهل. ولذلك، فإننا لا نعرفُ مدى الطبيعةِ او الفنِ، ليس هُناكَ معيارٌ لتحديدِ ما هو معجزةٌ؛ وفكرةُ تسميةِ المظاهرِ بالمعجزاتِ مِن قِبلِ البشريةِ، تَخضَعُ لتغييرٍ مستمرٍ.

لذلكَ المظاهرُ هي قادرةٌ جداً على الخداعِ، وأشياءٌ ليست حقيقيةٌ لديها تشابهٌ قويٌ مع الأشياءِ الحقيقةِ، لذلكَ لا شيءَ يُمكنُ أن يَكونَ أكثرُ تناقضاً مِن إستخدامِ القديرِ أساليباً تسمى المُعجزات، التي من شأنِها أن تَخضَعَ للأشتباه بالكذبِ او الاحتيال، والمذهبُ المدعومُ بذلك يُشتَبَهُ بكونهِ اختراعاً خرافياً.

إن من جميع وسائلِ الأدلة التي تم إختراعُها منذُ أي وقتٍ مَضى للحصولِ على المصداقيةِ لأي نظامٍ أو رأيٍ أعطيَ له اسمُ الدين، هو المعجزة، وعلى فرضِ كونِها ناجحةً فإنها اكثرُ تناقضاً. لأنه، في المقامِ الأول، كلما كان اللجوءُ لعرضٍ من اجلِ دعمِ فكرةٍ (فالمعجزةُ هي عرضٌ) يدلُ ذلكَ على ضعفٍ في المذهب الذي يُبَشرُ به. وفي المقام الثاني، هو يُحطِ من قيمةِ الربِ ممثلاً إياه شخصيةً تَعرِضُ لُعبَ الحيلِ لتسليةِ الناس من أجلِ التحديقِ والعجبِ .

بل مِنَ الأكثرُ غموضاً من الأدلةِ؛ هو عدمُ الاعتمادِ على ما يسمى معجزةً، بل على ائتمان المراسلِ، الذي يقولُ أنه رآها؛ على فرض انها كانت صحيحاً، فإن أحتمالَ تَصديقِها لن يكونَ أفضلَ من إحتمالِ تكذيبِها.

لنفترضُ أنني قُلث، أنه عندما جلست لكتابةِ هذا الكتاب، قد قَّدَمَتْ يداً نَفسَها في الهواء، وأخذتْ القَلمَ وكَتَبَتْ كُلَ كلمةٍ مكتوبةٍ؛ هل سيُصَدقُني أَحد؟ بالتأكيد لا. هل سيُصَدُقُني احدٌ أكثر لو كان ذلكَ الأمرُ حقيقةً؟ بالتاكيدِ لا. لِذلكَ فإنَ أي معجزةٍ حقيقية، ان كانت لتحدث، ستَخضَعُ لنفسِ مصيرِ البُطلانِ؛ و التناقضُ يزيدُ عِندَ إفتراضِ استخدامِ الرب لوسائلَ لا تؤدي الغرضَ المقصودَ مِنها، حتى إذا كانت حقيقيةً.

إذا كانَ لنا أن نفترضَ مُعجِزةً خارجةً تماماً عن ما يُسَمى بالطبيعةِ، وإنها يَجِبُ أن تَخرُجَ عنها بالطبع لكي نُكمل، ونحنُ نَرى حسابَ معيناً لهذه المعجزة من قولِ شخصٍ ما إنه رآها تحدث، فإن ذلكَ يُثيرُ سؤالاً في العقلِ يجابُ بسهولةٍ جداً، أيهما أكثرُ إحتمالاً ؟ أن تَخرُجَ الطبيعةُ عن مسارِها، أو أنَ الرَجُلَ يَكذُب؟ لم نرَ قط، في عصرنا، الطبيعةَ تخرجُ عن مسارِها. ولكن لدينا سببٌ وجيهٌ للاعتقادِ بأن ملايينا من الأكاذيبِ قد قيلث؛ لِذلك إن إحتمالَ روايةِ المُراسلَ لكذبةٍ هو مليون الى واحد على الأقل.

قصة بلع الحوت ليونس، على الرغم من أن الحوتَ ضخمٌ بما يكفي ليفعلَ ذلكَ، هي رائعةٌ الى حدٍ كبيرٍ. ولكن ستكونُ أقربَ إلى فكرةِ معجزةٍ، لو كانَ يونسُ قد ابتلعَ الحوتَ. فهذه تستوفي جميعَ شروطِ المعجزات، وهذه المسألةُ تُجيبُ نَفسَها كما ذُكَرَ مِن قبل، أي، هل من المحتملِ أن رجلاً قد ابتلعَ حوتاً، أو إنه يَكذُبْ؟

ولكن لنفترض أن يونس قَد إبتلعَ الحوتَ حقاً، وحَمَلَهُ مَعَهُ في بطنه إلى نينوى، وأقنعَ الناسَ أن ذلكَ صحيحٌ بالقاءه اياه امامَ أعينهم، بكاملِ طولهِ و حجمهِ، ألن يعتقدوا أنه كان

شيطاناً بدلاً من نـبي؟ أو إذا كـانَ الحـوتُ قـد حمـلَ يـونسَ إلـى نينـوى، وألقـى بـه بنفـسِ الطريقةِ، ألن يعتقدوا أنَ الحوتَ شيطانٌ، ويونسَ هو واحدٌ من عفاريتهِ؟

الأكثرُ استثنائيةً من جميعِ الأشياءِ التي تُسَمى المعجزات، المرتبطةِ بالعهدِ الجديـدِ، هـو أن الشيطانَ قد حَلَّقَ بعيداً مع يسوع المسيح، وحَمَلهُ إلـى قمـةِ جبـلٍ عـالٍ؛ وإلـى أعلـى ذروةِ المعبدِ، ووعدهُ كل ممالكِ العالمِ. كيف حدث أنه لم يكتشف أمريكا؟

لديَ احـترامٌ للطـابع الأخلاقـي للمسـيحِ أكـثر مـن أن أُصـدق أنـهُ قـد روى مُعجـزةَ الحـوتِ بنفسهِ؛ ليسَ مِنَ السهلِ حسابُ غرضِ تلفيقِها، إلا إذا كانَ لطرحهـا علـى خـبراءِ المعجـزات، كمـا يُمـارَسُ أحيانـاً مـعَ خُـبراء الملكـةِ آن، وجـامعي القطـعِ الأثريـةِ، أو لتسـخيف فكـرةِ المعجزاتِ، من خلال جعل قُدرتِها مشكوكاً بِها، أهيَ مِنَ الرّبِ أم مِنَ الشيطانِ، ألايمانُ بـأي معجزةٍ يتَطلبُ قدراً كبيراً من الإيمانِ بالشيطان.

المعجزاتُ في أي وجهةِ نظر يُمكنُ وضعُها واعتِبارُها، فوقوعُها أمرٌ غيـرُ مُحتَمـلٍ، و لا داعٍ لها. ولن يلجئَ اليها الخالقُ، كما ذُكرَ مِنْ قبل، حتى و إن كانت صحيحةً؛ فالإيمانُ بمعجـزةٍ، اصعبُ من الإيمانِ بمبدإٍ أخلاقيٍ واضحٍ، دونَ أي معجزة.

المبدأُ الأخلاقيُ يتَحَدثُ عن نفسه عالمياً. المُعجِزةُ يُمكنُ أن تكـونَ شـيئاً لحظيـاً، وتُشـاهدُ من قِبَلِ عددٍ قليلٍ؛ بعد هذا فالتصديقُ بمعجزةٍ بنـاءً علـى كلامِ أنسـانٍ يحـولُ الإيمـان مـن إيمانَ بـالرب لإيمـانٍ بإنسـان . وبالتـالي، الاعـترافُ بـالمعجزاتِ كـدليلٍ علـى أي نظـامٍ مـن الدين، يجب أن تُعتَبَرَ مِن أعراضَ كونِهِ خرافةً. فمِـنَ الضـروريِ أن يرفُـضَ الطـابعُ الكامـلُ والمستقيمُ للحقيقةِ الارتكازَ إلى الخرافَةِ و الغموضِ والمعجزات.

كما تـولى الغمـوضُ والمعجـزةُ مسـؤوليةَ الماضـي والحاضـر، تـولث النبـوءةُ مسـؤوليةَ المستقبلِ، فلَمْ يكن كافياً للإنسانِ معرفةُ ما تم القيامُ بِهِ، ولكن ما سَيَتِمُ فِعلُهُ. وكـان النـبيُ مؤرخاً لما سيأتي؛ فالتصويبُ من بعدٍ على مدى ألفَ سنةٍ وإصابة اميال بعيدة عن الهـدفِ يَجعَلُ الأمرَ بِلا معنى. وإن حَدَثَ و كانث النبوءةُ خطأً مُباشراً، يجـبُ علينـا أن نَفتَـرِضَ أنَ الرّبَ قد غيّرَ رأيهُ. ما أحمقَ الإنسانَ الذي تَصنَعُهُ الخُرافات.

في جُزءٍ سابقٍ مِنْ هذا العمل، ذُكِرَ أن أصلَ معنى كلماتِ النبي والتنبؤ قد تَغَيَرَ، وإن النـبيَ، بالمعنى المُستخدمِ الآنَ، هو اختراعٌ حديثٌ؛ ويرجعُ ذلكَ التغييرُ في معنـى الكلمـاتِ، الـى أن الرحلاتِ والاستعاراتِ والعبارات والتعابير الشعريةِ اليهودية، قد أصبَحث الآن غامضـةً لنا و لا نَعـرِفُ الظُـروفَ المحليـةَ الـتي طّبقوهـا فـي وقـتِ اسـتخدامِها، فسُـميث نبـوءاتٍ، وجُعِلَ كُلُ شيءٍ غيرِ مفهومٍ نبوءةً، كان الخِداعُ ليُسمى نبوءةً.

أذا كان لنا أن نفتَرِضَ أن الرّبَ قد حَدَّثَ وتواصلَ مع إنسانٍ ليحَدثَهُ عـن المسـتقبل، سـواءَ كان هُناكَ مثلُ هكذا إنسانٍ، أو لم يَكنْ. فإن كان هُناكَ، فمن السليمِ أن نعتقـدَ أن يَتّـمَ إبلاغُ الحَدَثِ بمصطلحاتٍ مفهومةٍ بعيدةٍ عن الغموضِ، وبطريقةٍ لا لِبسَ فيها لتُناسـبَ آيَ ظـرفٍ يَحدُثُ بعدَ ذلك.

ولكن كُـل الأشـياءِ الـتي تُسـمى نبـوءاتٍ فـي الكتـابِ المسـمى بالمقـدسِ تـأتي تحـتَ هـذا الوصف. ولكن حال النبوءةِ كحالُ المُعجزةِ. فلن نستطيعَ الأقـرارَ حـتى لـو كـانت حقيقيـةً. أولئك الذينَ يجبُ أن يُخبَروا بالنبوءَةِ لا يُمكنُ لهمْ أن يعرِفوا ما إذا كانَ الرَجُـلُ قـد تنبـأَ أو كَذِبَ، أو ما إذا كان قـد كُشِـفَ لـه شـيءٌ، أو تـوقعَه بنفسـهِ؛ واذا كـان الشـيءُ الـذي يسـمى النبوءةُ يجب ان يَحدُثَ بالتحديد ام شيءٌ يشبهُهُ من بينِ العديدِ مـن الامـورِ الـتي تَحـدُثُ يومياً، لا يُمكنُ ان يُعرَفَ ما اذا كان قـد تنبـأ بهـا، أم خمّنَهـا، أو مـا إذا كـان ذلـك قـد حـدثَ

عرضياً. النبيُ، لذلك، هو شخصيةٌ عديمةُ الفائدةِ وغيرُ ضروريةٍ. والجانبُ الآمنُ مِنَ القضيةِ هو الحذرُ من افتراضها، من خلال عدمِ إعطاءِ ائتمانٍ لهذه العلاقات.

على العموم، الغموضُ،والمعجزةُ، والنبوءةُ، هي الزوائدُ التي تنتمي إلى خرافةٍ وليس ديناً حقيقياً. فهي الوسيلةُ التي إنتَشَرتْ مِنْ خلالِها الكثيرُ من الأقاويلِ حول العالم، و الدينُ اصبحَ تجارةً. وأدى نجاحُ أحدِ المُنتَحِلينَ، لتشجيعِ الآخر، و استمروا بالقيامِ ببعضِ الخيرِ ومواكبةِ الاحتيالِ تقية لحمايتِهم من الندمْ.

خُلاصة

وبعدَ أن مَدَدتُ الموضوعَ الآن لأطولَ مما كُنتُ أقصد في المقامِ الأول، سأختتمهُ باستخلاصِ ملخصٍ من مُجمَلِهِ.

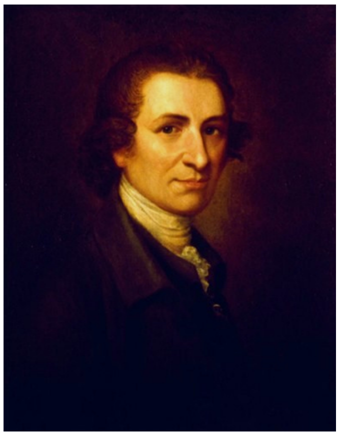
أولاً، إنَ فِكرةَ أو مُعتقَدَ أن كلمةَ الرب موجودةٌ في الطباعةِ، أو الكتابةِ، أو في الكلامِ، غير مُتناسَقةٍ في حد ذاتها للأسبابِ التي سُبِقَ شَرحُها. وهذه الأسباب، من بينِ أسبابٍ أُخرى، هي الحاجةُ لوجودِ لغةٍ عالميةٍ؛ تَغيرِ اللغات ، وأخطاءُ الترجماث، وإمكانيةُ قمعِ هذه الكلمةِ تماماً؛ وإحتمالُ تغييرها، أو تلفيقِها كُلِها، وفَرضِها على العالم.

ثانياً، أن الخلق الذي نراهُ هو الكلمةُ الحقيقيةُ والأبديةُ للخالق، والتي لا يُمكنُنا أن نُخدَعَ بها. و تُرينا قُدرَتَهُ، وتَدُلُ على حِكمَتِهِ، وعلى خَيرِهِ وإثرائهِ.

ثالثاً، إن الواجبَ الأخلاقيَ للإنسانِ يَتَمَثلُ بتقليدِ الخيرِ الأخلاقي وإحسانِ الربِ الذي تجلى في الخليقةِ نحو جميعِ مخلوقاتِه. أن نَفعَلُ يومياً خيرَ الرب لجميعِ الناس، بل هو قُدوةٌ لجميعِ الناسِ لممارسةِ الإحسان تجاه كل منهما الآخر؛ وبالتالي، كُلَ شيءٍ مِنَ الإضطهادِ والإنتقامِ بينَ الناسِ، وكُلٌ شيءٍ من القسوةِ على الحيوانات، هو انتهاكٌ للواجبِ الأخلاقي.

أنا لا أُزعجُ نفسيَ بالنظرِ الى المستقبل. أنا سعيدٌ بالإيمانِ، حتى بقناعةٍ إيجابيةٍ، أن القدرةَ التي أعطتنيَ الوجودَ قادرةٌ على مواصلةِ ذلكَ، في أي شكلٍ وطريقةٍ تَرغبُ، إما مع أو بِدونِ هذه الجسد؛ ويَبدو أكثرَ احتمالاً إنني سأظلُ موجوداً فيما بعد كما انا الآن، و كما كُنتُ قبل أن يبدأ هذا الوجود.

ومن المؤكدِ أنه، في مرحلةٍ ما، تتفقُ جميعُ دول الأرض وجميع الأديان على شـيء. فكلُهـم يؤمِنونَ بالربِ، الأشياءِ التي يَختَلِفونَ فيها هي الزوائد الملحقة بهذا الاعتقاد؛ ومِن ثُـم، أَي دينٍ جديدٍ يجبُ أنْ يسودَ، فإنه لن يأتيَ بأي شـيءٍ جديـدٍ، ولكنـهُ يتخلـصُ مِـنَ الزوائـدِ، و يُبقي على الإيمانِ كما آمن الإنسانُ في البدء، فآدم، إن كان هناك هكذا رجل، خُلِـقَ ربوبيـاً. لكن في الوقت الحالي، لندع كُل إنسانٍ يُمارِسُ حقهُ بإتباعِ الدينِ والعبادةِ التي يُفَضِلْ



توماس باين

توماس باين(١٧٣٧ - ١٨٠٩) ثوري إنكليزي ومخترع ومفكر ولد في بريطانيا وهاجر إلى أمريكا عام ١٧٧٤. كان لمؤلفه "الحس السليم" سنة ١٧٧٦ أثرٌ كبير في التعجيل بإعلان الاستقلال، وكذلك فَعَلَ عمَلُهُ الآخر "الأزمنة الأمركية".